النورسي

أنوار لا تغيب

تأليف
الشاعر المستشار
محمد التهامي

SÖZLER PUBLICATIONS

النورسي

أنوار لا تغيب

تأليف
الشاعر المستشار
محمد التهامي
بالجامعة العربية

من البحوث الفائزة في المسابقة الثقافية الكبرى التي نظمتها
جمعيات الشبان المسلمين العالمية – مصر سنة ١٩٩٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ٢٣٦٠ / ٩٨
الترقيم الدولى : I.S.B.N.
977 - 5323 - 13 - 4

مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر
٢٨ شارع الفجالة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح بديع الزمان سعيد النورسي التي تحلّق وتنطلق حولنا وتحاول دفعنا في طريق النور لتحقيق ما أراده الله للإسلام والمسلمين...

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾

صدق الله العظيم.

محمد التهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث

أثار بديع الزمان سعيد النورسي مشاعري وتعمّق تأثيره في وجداني أخيراً متجاوزاً المعلومات العابرة القديمة عنه، وذلك من خلال المقالات الصحفية التي تعددت عنه في الصحف العربية ومن خلال الولع بتتبع أخبار ما يدور في تركيا المعاصرة من تحركات وتوجهات ومواقف سياسية وعقائدية تكاد تكون إرهاصا بمستقبل جديد.

وساند الرغبة العارمة في المعرفة إحساس غامض لا أدرك مصدره ولكنه يدفعني إلى الرجل بلا هوادة.

وبحكم عضويتي بمجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة تابعت الاتصالات التي جرت بين جماعة النور من تلاميذ النورسي وبين الجمعية بشأن عقد مسابقة للباحثين حول كليات رسائل النور للنورسي، وقد لفتني اهتمام ودأب الأستاذ «إحسان قاسم الصالحي»، أحد تلاميذ النورسي، ومترجم أعماله إلى اللغة العربية.

وكانت الخطوة الأولى توفير مجموعات من كليات رسائل النور وإتاحتها للباحثين المتسابقين، وقد اثار انتباهي طول الرسائل وتعددها (١٣٠ رسالة) وضخامة مجلداتها (٨ مجلدات) وغرابة عناوينها مثل: الكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات.... الخ.

ومع توقعي أن يقبل على المسابقة في المقام الأول المدرسون والباحثون

بأقسام الدراسات العليا المتخصصة في اللغات الشرقية (اللغة التركية خاصة) في كليات الآداب، إلا أنني بعد قراءتي في رسائل النور ووقوفي على نظرة النورسي في القرآن الكريم أحسست بدافع لا يقاوم الى الكتابة عنه، إذ قد ادهشني حقا ما وصل إليه من اسرار كتاب الله العظيم الذي نزل بلسان عربي مبين وهو الذي ولد وعاش بين قوم انحسرت اللغة العربية عنهم وأصبحوا في الغالبية الغالبة منهم لا يتكلمونها، وان كان مستساغا في صدر الاسلام ان ينهض عباقرة في علوم الدين والقرآن الكريم في بلاد غير عربية، إلا أن سلطان اللغة العربية كان سائداً وكان يمكّن لهؤلاء العباقرة من الوقوف على اسرارها، اما ان يأتي في القرن العشرين – وقد انسحبت اللغة العربية وتقوقعت – إنسان غير عربي يكشف عن اسرار القرآن الكريم وإيحاءاته ومراميه وبلاغة ألفاظه وتراكيبه ونظمه وأبعاده، والحكمة فيه، ومعانقته لروح الانسان وفكره وشيوعه في عقله وقلبه، واحاطته بكل الكون، وتمكينه الصلة بين الخلق والخالق، فهذا شئ يكاد يكون معجزة ويؤكد ان النبي محمداً ﷺ رسول الله للناس كافة وان القرآن الكريم كتاب الله للبشرية كلها في كل زمان ومكان الى يوم الدين مهما اختلفت ألسنة الناس وألوانهم، فضلا عن ان النورسي كتب بالعربية ما جاوز به عباقرة علمائها.

صحيح ان سيرة النورسي تقول إنه منذ نعومة أظفاره كان موهبة علوية خارقة، وكان عبقرية متفردة، وان علمه يكاد يكون لدنّيا، ولكنه لم يكن موهبة فحسب بل كان أيضاً موقفا، ولم يكن موهبة وموقفا فحسب، ولكنه كان فوق ذلك عملا دائباً، وجهاداً لا يفتر، ولم يكن موهبة وموقفا وعملا فحسب، ولكنه كان مع ذلك كله فدائيا، باع الدنيا كلها في سبيل الآخرة ومرضاة الله ونفع الناس.

وما أوغلت في قراءة الرسائل حتى ادركت ان النورسي كان مزاجا من الجسد والعقل والروح، يشكّل طاقة ملهمة الإدراك خارقة التأثير، على حد قول الاستاذ الكريم الدكتور محسن عبد الحميد وهو أنه كان يشتعل مع

النورسي كلما اعاد قراءته، مما يؤكد ان النورسي خُلق داعية، وأنها إرادة الله التي صرفته عن الاستمرار في الإنشغال بالتفسير العلمي الفقهي للقرآن الكريم بعد تأليف «إشارات الاعجاز في مظان الايجاز» والذي كان سيستغرق حياته كلها الى تحرير ونشر الرسائل.. رسائل النور، التي جاءت شرحا لجوانب القرآن، وكشفا للنقاب عن انواره، وتمكينا له من نفوس المتلقين، ونفاذا به الى التأثير في سلوك المؤمنين، سبيلا الى تقويم حياتهم وحل مشاكلهم العامة والخاصة، وتهيئتهم لسيادة الدنيا وثواب الآخرة.

ولقد هزتني مواقف النورسي ومرافعاته وأساليب حياته، ولكن الذي أثار إعجابي حقا هو مقدرته الفائقة على تجاوز باع العلماء والمجتهدين أمام معضلات الفكر مثل قضية القدر والاختيار، التي أحالها بشرحه الملهم الموفق الى وسيلة لتقويم سلوك المؤمن، ومثل تصويره المنطقي لطبيعة حياة الخلود في الجنة ودوام لذائذها مع اختلافها عن طبيعة الحياة الدنيا وحكمة لذائذها، ومثل تقريب صور البعث والقيامة والنشر والحشر بتشبيهها بظواهر الطبيعة وتقلب الفصول تحت اعيننا.

ومما يبهر حقا ان هذا العملاق الكبير والطود الأشم كان خفيف الروح حلو الدعابه، فهو يقول في مقدمة كتابه (صيقل الاسلام): «إن هذا الفقير، الغريب، النورسي، الذي يستحق ان يطلق عليه اسم بدعة الزمان إلا أنه اشتهر - دون رضاه - بـ(بديع الزمان)...» ويقول في مقدمة كتاب «الملاحق في فقه دعوة النور» عن تلميذه (صبري): «أما صبري فإنه يحمل علامة فطرية خاصة بي (إلتحام إبهام الرجل مع التي تليها) لم أرها في غير صبري، وهو يشعر بصلة قربى معى تفوق صلة الرحم».

ولست أدري هل هذه العلامة الفارقة الفطرية دليل على قيام صلة من أي نوع؟ إن كان هذا فهنيئا لي، ولعلها سر تعلقي بالشيخ.

وبعد فقد اعددت هذا البحث الموجز الذي لايعدو صيحة معجب بهذا العلامة الكبير بديع الزمان سعيد النورسي الذي لا يغيب نوره المبشر بأثره

الفعال في حياة المسلمين، طال الزمان أو قصر، فإن الغد آت لاريب فيه، والدعاة الصادقون قائمون، والله وراء القصد.

وقد شرفتني الجماعة بتقريرها القيام بطبع بحثي ونشره، وطلب اليّ الاستاذ الكبير احسان قاسم الصالحي أثابه الله مراجعة البحث واثبات مراجع الاستشهاد بأقوال النورسي فدفعني الى إعادة قراءة رسائل النور ومداومة معايشة النورسي، ولعلها كرامة من كرامات الشيخ اشكر الله عليها.

ولعل الذي يرفع عني عبء الخجل من تواضع البحث وضآلته امام ما يمور في صدري من انفعال برسائل النور والداعية الكبير بديع الزمان سعيد النورسي ان البحث لم يعد اساساً ليكون كتابا، فضلا عن إيماني بأن كل كلمة تقال في هذا المجال هي ﴿ **شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** ﴾(سورة ابراهيم: ٢٤) صدق الله العظيم.

ولعل الله العلي الكبير يوفقني في المستقبل الى مداومة ومضاعفة البحث انه سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

محمد التهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طبيعة عصر بديع الزمان النورسي

اقتضت حكمة الله ان يتزامن دخول السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وعبور الاسلام الى البلقان وشرق اوربا مع انحسار الاسلام عن غرب اوربا وسقوط غرناطة في يد الكاثوليك الاسبان، وظلت الامبراطورية العثمانية شوكة في عين الصليبيين وظل الصراع محتد ما تحت الرماد حتى مشارف القرن العشرين، حيث دب الضعف في اوصالها وتناوشتها انياب الاعداء من صهاينة وماسونيين وعملاء للغرب متعاونين مع الأدواء المحلية من استبداد السلاطين ووهن جذوة التدين ومثالب الحكومات وتمزق الشعب حتى اطلق عليها «الرجل المريض» واخذت الولايات والاقاليم في التمرد عليها والانسلاخ عنها.

وفي مطلع القرن العشرين استشرت الاحداث السياسية في تركيا وتوالت محاولات الانقلاب على حكم السلطان عبدالحميد الثاني الذي حاول الاصلاح ما استطاع، ووقف في وجه النفوذ الغربي والاطماع الصهيونية ورفض منح اليهود وطنا او حق اقامة في فلسطين، فاشتدت الحملة عليه وقامت المشروطية الاولى والثانية، ثم نجحت حركة الاتحاد والترقي بمساندة الاعداء في الوصول الى الحكم مرتين، وتم عزل السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٩٠٩، ولم تهدأ القلاقل في عهد اسلافه وقامت حرب القرم وقامت الحرب العالمية الاولى ودخلتها تركيا وانهزمت، واحتلها الحلفاء وتم الغاء السلطنة سنة ١٩٢٢ واعلان الجمهورية العلمانية ثم تم إلغاء الخلافة الاسلامية سنة ١٩٢٤ ثم نص في الدستور على ان الدولة علمانية لادينية والغي العمل بالشريعة الاسلامية

واغلقت المحاكم الشرعية، واستبدل بالزي الاسلامي الزي الافرنجي ولبس القبعة، والغي استعمال اللغة العربية واستعملت الحروف اللاتينية، والغيت الطرق الصوفية كما اغلقت الكثير من المساجد وتبنت الدولة كل مظاهر واساليب الحضارة الغربية وطبقتها بقوة القانون، وحاربت المخالفين واوقعت بهم اقسى العقوبات حيث تولى مصطفى كمال اتاتورك رئاسة الجمهورية معلنا ومنفذا عزمه على ان يجعل تركيا قطعة من اوربا وجزءاً من العالم الغربي بكل دقائق حضارته تفاصيلها.

وقد كتب للشيخ بديع الزمان النورسي ان يعيش ويكافح اعداء الاسلام في الداخل والخارج وان ينشئ حركة النور وان يواجه الاحداث المذهلة التي قال عنها المؤرخ «باول جنيتزون»: «ان الاحداث التي حدثت في تركيا بين ١٩٢٢-١٩٢٨ ليس لها شبيه في العالم كله».

فقد ولد الشيخ ١٨٧٧ ومات ١٩٦٠ وقد عاش المجتمع التركي طيلة هذا الوقت وحتى الآن في جو من الصراع بين رواسب الدين الاسلامي وبقايا تاثيره في النفوس وبين مظاهر ومغريات نظم الحضارة الغربية التي يسندها القانون، والامر الذي لاشك فيه ان كليات رسائل النور باساليبها وانتشارها من اهم الاسباب في يقظة الوعى الاسلامي وبقائه حيا وفعالا في اعماق الجماهير.

ولعلها ارادة الله التي قيضت لتركيا في هذا الوقت بديع الزمان النورسي ورسائله النورانية التي بلغت مائة وثلاثين رسالة فكان بحق – رجل القدر الذي ساقه الله لحراسة الاسلام وتنوير المسلمين شأنه شأن جمال الدين الافغاني (افغانستان) ومحمد عبده (مصر) ومحمد اقبال (باكستان) واحمد الفاروقي السرهندي (الهند) وعبدالحميد بن باديس (الجزائر) والسنوسي (ليبيا) والمهدي (السودان) وغيرهم.

وقد اقتضت الارادة الالهية أن يعيش النورسي ٨٣ عاما وان يقضى منها ثلاثين عاما في السجن والنفي والاقامة الاجبارية وعامين واربعة شهور في الاسر في سيبيريا وان يساق الى التحقيق معه آلاف المرات، وأن يطارد ويشرد

وينفى بين الاقاليم المختلفة وان يحاول قطاع الطرق مرة قتله وان يهدد بالشنق وان يتهم بالجنون وان يصدر الامر باعدامه وهو اسير وان يصدر حكم من الانجليز باعدامه وان يدس له السم مرات ومرات، ومع ذلك كله تكتب له الحياة ويستمر في نشاطه حتى اخر لحظات عمره وقد قال عنه احد دارسيه «لقد فطن اعداء النورسي لخطره فحاصروه وحاولوا التضييق عليه ولكن فاتهم لغبائهم ان يقتلوه» ولعلها حكمة الله.

اضواء على شخصية النورسي

بعد هذه الاطلالة السريعة على طبيعة ومشكلات واحوال العصر الذي عاش فيه بديع الزمان النورسي والاشارة الموجزة الى أثر رسائل النور في يقظة الامة الاسلامية في تركيا يستحب ان نشير الى نشأته ومواقفه وصفاته وتطور حياته ومبعث فلسفته وافكاره ووسائله في تحقيق رسالته ومراحل حياته وما تعرض له في سبيل الوصول الى اهدافه لنلقى الاضواء على طبيعة الرجل وخصائص شخصيته وملكاته ليكون ذلك سبيلا الى المزيد من فهم «كليات رسائل النور» ومقاصدها وكيف أنها خلاصة معاناة هذه الشخصية والترجمان الصادق عن اعماقها فكل كلمة يقولها النورسي او تقال عنه هي ضوء كشاف لخفايا الرسائل وما تتضمنه.

نشأته:

ولد الاستاذ (الملا سعيد ميرزا) الملقب ببديع الزمان في قرية (نورس) التي نسب اليها في تسميته من قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس) شرقي الاناضول، من اسرة كردية ريفية عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٧) وقد اشتهرت اسرته بالتقوى، حتى ان والده كان يكمم دوابه اثناء سيرها في الطريق حتى لا تأكل حراما من مال الغير، وكانت امه تقول انها لم ترضع ابناءها أبداً إلا وهي على طهر ووضوء، وقد باشر في طفولته تلقى التعليم على يد أخيه (الملا عبدالله)

ثم اختلف الى بعض المدارس الدينية في كردستان. وقد نشأ قوى البنية حاد الذكاء سريع الحافظة راغبا في العلم قادرا على استيعابه الى حد ان وصفه احد معاصريه بان علمه علم لدنّي، كما نشأ على عدم الاستغراق في الاهواء وعدم الانشغال بمباهج الحياة والزهد في المناصب والاقتصاد في الطعام وكان عند الاضطرار يعيش على الاعشاب وثمار الشجر ولم يتزوج ووهب نفسه كلية للكفاح في سبيل الاسلام ولم يكن يقبل المال ولا الهدايا والصدقات ولا الزكاة، ومما يحكى عنه كان في بعض الاحيان يلقى ببعض طعامه الى النمل ويقول ان ذلك احتراما لدأب النمل في العمل وتمسكه بالنظام، وقد ورد على لسانه انه رأى النبي ﷺ في منامه، وقد دعا له عليه الصلاة والسلام وبشره بزيادة العلم وطلب اليه ان يجيب على السائلين وألا يسأل احدا، وقد التزم بهذه القاعدة طيلة تردده على المكتبات والمدارس ومجالس العلماء، حيث كان يقضي وقته في تتبع امهات الكتب في العلوم الدينية واللغوية ثم العلوم المدنية الحديثة التي كان يستظهرها في وقت سريع الى حد انه حفظ القاموس المحيط للفيروز بادي حتى باب السين، ولما سئل عن جدوى ذلك قال: «ان القاموس يعطى لكل كلمة ثلاث معان واريد ان اعطى لكل معنى ثلاث كلمات».
وكانت حياته وتحصيله للعلم مضرب الامثال . ولقب ببديع الزمان وكان مثار الكثير من اعجاب العلماء احيانا، وحسد بعضهم في بعض الاحيان. حتى كان يضطر الى التنقل بين المدن والقرى اختيارا تجنبا للمشاكل واحيانا اضطرارا بأمر الحكومة لتفادى تحزب الناس وتصادمهم وكان شغوفا بالتعلم والتعليم.
وقد انشأ مدرسة في بلده (وان) وكان يعلم فيها التلاميذ ويعولهم من جيبه الخاص، وقد قرأ في احدى الصحف يوما ان (جلادستون) وزير المستعمرات البريطاني قال في مجلس العموم: «لن نستطيع ان نحكم المسلمين ما دام القرآن في أيديهم، ولذلك لامناص من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به» ومن ذلك الوقت نذر النورسي نفسه للقرآن وقرر أن يهب حياته للعمل على بقائه حيا في وجدان المسلمين، ونشأت لديه فكرة انشاء مدرسة

جامعة في الاناضول يسميها «الزهراء» على غرار الازهر الشريف في مصر لتدريس القرآن وعلوم اللغة والدين والعلوم الحديثة، وبذل في سبيل تحقيق هذا الغرض جهداً كبيراً وقدّم طلبه الى السلطان عبد الحميد، ثم قابل السلطان محمد رشاد الذي تحمس للمشروع وقرر له ميزانية وبدأ فعلا العمل فيه ولكنه توقف بسبب قيام الحرب العالمية الاولى وتورط تركيا فيها، وقد كتب على النورسي ان يحارب الماسونية والصهاينة وعملاء الغرب، كما يواجه انحراف الحكم واستبداده وخمود جذوة الدين في اعماق المسلمين واغراء الحضارة الغربية الملحدة لهم وانصرافهم الى اللهو وبعدهم عن تعلم العلوم الحديثة.

مراحل حياته:

والمتتبع لحياة بديع الزمان النورسي وكفاحه يلاحظ انه يمكن تقسيمها الى مرحلتين سماهما هو بسعيد القديم وسعيد الجديد فالمرحلة الأولى كانت مرحلة كفاح سياسي وذلك بمواجهة المسؤولين ونصحهم ومحاورتهم وإلقاء الخطب والبيانات ونشر المقالات في الصحف.

وقد اشترك في الحرب دفاعا عن بلده «بتليس» وجرح واسر ونقل الى سيبيريا وفر من الاسر بعد سنتين واربعة اشهر لما قامت الثورة البلشفية، وعاد الى الوطن عن طريق اوربا وكوفئ بعضوية دار الحكمة، ولكنه سرعان ما اكتشف ضآلة جدوى هذه المرحلة فقال «اعوذ بالله من الشيطان والسياسة».. لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة لما يزيد على عشر سنوات لعله يخدم الدين والعلم عن طريقهما ولكن محاولته ذهبت ادراج الرياح ولذلك ترك السياسة ومجالسها الدنيوية كما ترك السيجارة وقراءة الجرائد على حد قوله «هذا يذكرنا بما قاله الامام محمد عبده عن نفس الموضوع حين نسب إليه قوله: لعن الله السياسة وفعل ساس ويسوس وكل ما اشتق منه».

ولم يكن معنى هذا بُعد سعيد الجديد عن العمل السياسي الجاد المثمر في

زعزعة قواعد الالحاد والتخلف وشحن الوعي الاسلامي بركائز اليقين والقوة والهدى ولذلك بقى مضطهداً مطاردا حتى آخر حياته.(١)

وفي المرحلة الثانية ركز النورسي جهوده في الجهاد السلمي والعمل الدائب لشرح القرآن الكريم وغرس الايمان والتوحيد في نفوس المسلمين، وتعليم العقيدة والشريعة وتوظيفهما في توجيه السلوك الانساني الى العمل الصالح، والكفاح في سبيل ترقية حياة المسلمين، ومواجهة موجة الالحاد والتنكر للدين الاسلامي التي كان يقودها حكم مصطفى كمال اتاتورك في الجمهورية العلمانية وكانت الوسيلة المتاحة تحرير ونسخ وتوزيع رسائل النور لتحقيق الهدف بالوسائل الثقافية السلمية فقط. والدليل على ذلك ان النورسي رفض المشاركة في حركة «سعيد بيران» الثورية ضد مصطفى كمال سنة ١٩٢٥، حين دعاه الى ذلك وارسل له رئيس احد العشائر الثائرة فقال النورسي للرسول: لاتقتلوا جنود مصطفى كمال فهم اتراك مسلمون مثلكم وماذنبهم، وأضاف قائلا لرئيس العشيرة: انك اذا امرت جنودك بالتحرك الى القتال فانهم سيخربون القرى وينهبون الناس اثناء سيرهم... وما الجدوى؟ ومفهوم هذا ان المهم هو تربية المسلمين والتزامهم بتعاليم الاسلام اولا فهذا اهم واجدى، والغريب انه بعد فشل ثورة «سعيد بيران» وقبض على انصارها وحوكموا قبض على النورسي ونفى.

ولما انتصر الحزب الديمقراطي المعارض بقيادة (**عدنان مندريس**) سنة ١٩٥٠ وخلف الحزب الشعب الجمهوري في الحكم [illegible] **بعض الحريات** وخفف القيود عن رسائل النور، وسمح لأول مرة **بطبعها وتداولها ما** جعل النورسي يهادن الحكومة ويتفرغ كلية الى طبع ونشر رسائل النور الى حد ان بعض الباحثين يسمى هذه المرحلة في حياته النورسي بانها المرحلة الثالثة(٢) بالرغم من ان الحكومة لم ترفع الرقابة تماما عنه بل ظل محدود الحرية محدد

(١) سعيد النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد وسعيد النورسي رجل القدر للمهندس أورخان محمد علي.

(٢) النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد.

الاقامة حتى وافاه الاجل سنة ١٩٦٠ وبعد وفاته حدث انقلاب عسكري على حكومة «عدنان مندريس» وأُعدم. وقد اصرت الحكومة الجديدة على نبش قبر النورسي بعد وفاته بستة شهور ونقلت رفاته سراً الى مكان مجهول.

وقد غادر النورسي الاراضي التركية ثلاث مرات، مرة عندما أسر في الحرب العالمية ونقل الى سيبيريا وتمكن من الفرار، ومرة عندما زار اخته بدمشق ١٩١١ والقى الخطبة الشامية في الجامع الاموي. ومرة عند مرافقته السلطان رشاد في سياحته الى الاراضي العثمانيج في اوروبا(روم إيلي)

مواقف مشهودة

ومما يكشف عن نواحي القوة في شخصية النورسي ويؤكد مدى ايمانه برسالته التي نذر لها نفسه وحاول اداءها بمواقفه وكتاباته شرح بعض هذه المواقف ومنها:

موقفه مع السلطان عبدالحميد:

قدم النورسي طلباً الى السلطان عبدالحميد بتدريس العلوم الحديثة في المدارس وانشاء جامعة الزهراء في الاناضول، وكان جريئاً في بيانه اذ جاء فيه: «ان مقام الخلافة لاينحصر في اداء صلاة الجمعة، فكما ان للخلافة قدرة وقوة معنوية فيجب ان تكون لها القوة المادية التي تكفل مصالح الامة المحمدية في اقطار الارض جميعاً» وحمل على الحاشية حملة عنيفة ولقب السلطان حيالها بالمظلوم مما اثار غضب الحاشية وقال الشيخ جمال الدين افندي شيخ الاسلام للدولة العثمانية: «لم ار حتى ذلك اليوم من استطاع ان يشرح رأيه بهذه الشجاعة للسلطان» وتآمرت عليه الحاشية واتهموه بالجنون واحيل الى طبيب الامراض العقلية للتأكد من سلامة عقله وبعد فحصه كتب الطبيب في تقريره: «لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان فمعنى ذلك انه لايوجد على وجه الارض كلها عاقل واحد»(١) فأحيل الى لجنة التفتيش

(١) احسان قاسم الصالحي: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره ص٣٠

العسكري برئاسة شفيق باشا الذي هش له وقال «ان السلطان يخصك بالسلام مع مرتب الف قرش وهدية ثمانين ليرة وعندما تعود الى بلدك سيتضاعف مرتبك» فقال بديع الزمان: «لم أكن أبداً متسول مرتب، ولن أقبله ولو كان الف ليرة، لأني لم آت لغرض شخصي ولكن لمصلحة البلد» فقال شفيق باشا: «ان عاقبة الرفض ستكون وخيمة» فقال بديع الزمان: «تعددت الاسباب والموت واحد فلن اعدم ولكن سوف ارقد في قلب الامة وهذا أهون من تقاضى رشوة للسكوت» فاسقط في ايديهم وتركوه.

موقفه مع جمعية *الاتحاد والترقي*:

ولما قامت جمعية الاتحاد والترقي بالانقلاب وتولّى الحكم وكانت مدعومة من الماسونيين والصهاينة واخذت تمارس البطش والعدوان، اخذ النورسي يهاجمها من خلال صحافة جمعية (الاتحاد المحمدي) فقبض عليه وقدم للمحاكمة العسكرية برئاسة الفريق خورشيد باشا ولما اقتيد الى قاعة المحاكمة كان امامها مايزيد على عشر جثث معلقه في المشانق ولكنه لم يخف ودافع دفاعاً طويلاً مؤثراً بالرغم من ان خورشيد باشا قال له مهدداً بسخرية «انت ايضا تطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية انظر – واشارالى الجثث من النافذة – » ولكن النورسي لم يهتز وقال: «اني متهيئ بكل الشوق للرحيل الى الاخرة ومستعد لان ارحل مع هؤلاء المشنوقين.. ان الحكومة السابقة في عهد الاستبداد كانت تعادى العقل اما الان فحكومة الاتحاد والترقي تعادى الحياة باكملها، فاذا كان هذا هو شكل الحكومة ومنطقها فليعش الجنون وليعش الموت ولتعش جهنم للظالمين والطاغين.. تقولون لقد دعوت انت ايضا الى الشريعة.. وانا اقول لو كان لي الف روح لكنت مستعدا للفداء بها في سبيل حقيقة شرعية واحدة.. ذلك لان الشريعة هي السبيل الوحيد للسعادة، بل هي من اهم الضرورات البشرية واشدها إلحاحا».(١)

---

(١) الشعاعات: ٤٢٦

والغريب انه بعد هذه المرافعة حكمت المحكمة بالبراءة في جلسة واحدة. وهكذا شاءت ارادة الله ليعيش النورسي.

موقفه مع مصطفى كمال:

لما انتصر جيش الاتراك على اليونان واستقر له الامر دعا مصطفى كمال النورسي الى انقرة مرتين فاستجاب سنة ١٩٢٢ واستقبل بحفاوة ولكن ازعجه ما لاحظه من ان معظم رجالات الحكومة واعضاء النواب (المبعوثون) لايصلون، ولا يؤدون الفرائض الاسلامية الاخرى، ولايهمهم من امر المسلمين شئ فوجه الى مجلس الامة في ١٩ يناير ١٩٢٣ خطابا بليغا مؤثراً (مازال نصه محفوظا بسجلات المجلس) بدأه بقوله: «ايها المبعوثون انكم مبعوثون ليوم عظيم» وكان من تاثير هذا الخطاب ان اكثر النواب بدأوا يصلون، حتى ان مسجد بنايه المجلس لم يعد يسع المصلين، ولكن هذا ازعج مصطفى كمال وحصلت بينه وبين النورسي مشادة عنيفه اذ قال مصطفى كمال: «لاريب في اننا في حاجه الى استاذ قدير مثلك فقد دعوناك الى هنا للاستفادة من آرائك، ولكن اول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة.. لقد كان اول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين اعضاء «المجلس» فاجابه بديع الزمان مشيراً اليه باصبعه «يا باشا.. ان اعظم حقيقة تنجلى بعد الايمان هي الصلاة، وان الذي لايصلى خائن والخائن حكمه مردود».

وقرر اتاتورك ابعاده الى الاناضول وتعيينه هناك واعظا عاما بمرتب كبير مع بقائه عضواً بدار الحكمة الاسلامية ولكن النورسي رفض الاغراء.

موقفه مع القائد الروسي في الاسر:

حدث عندما كان النورسي في اسر الروس ان زار القائد العام للجيش معسكر الاسرى للتفتيش واثناء مروره بالاسرى قاموا له احتراما الا النورسي ولما سأله القائد (نيقولافيج) خال القيصر عن عدم وقوفه قال: «انني مسلم احمل

في قلبي الايمان ولا استطيع احترام من لايحمل في قلبه ايماناً » فحوكم امام محكمة عسكرية بتهمة اهانة الجيش الروس والقيصر وصدر الحكم باعدامه، وعند التنفيذ طلب وهو يبتسم مهله دقائق لاداء الصلاة ولما راى القائد ذلك قال لهم اتركوه، وهكذا شاءت ارادة الله ليعيش النورسي ويكتب وينشر رسائل النور.

من النواحي اللامعة في شخصية النورسي التي يتوفر لها الايمان والشجاعة والعلم انه كان مؤثراً غاية التأثير على سامعيه مقنعا لمن يريد ان يقتنع منهم وهذه الملكة مكنتت له من نفوس طلابه وجعلتهم طاقة مقتدره على حمل رسائل النور الى كل مكان تمكن للايمان وترشد الى العمل الصالح وتغرس السلام الاجتماعي والتعاون والمحبة وترسى دعائم الامة الاسلامية السعيدة في الدارين.

وللنورسي في مجال حضور الشخصية وقوة التأثير مواقف منها:

محاورته مع مفتى مصر الشيخ بخيت المطيعى:

حين كان النورسي في الثلاثين من عمره في فترة تألقه العلمي وبروزه ومحاورته للعلماء زار استانبول الشيخ بخيت المطيعي مفتى الديار المصرية فطلب اليه العلماء هناك مناظرة النورسي وسبر اغوار علمه فسأله المفتى: « ما رأيك في الحرية التي تعيشها البلاد التركية؟ وما رأيك في حضارة اوربا؟ فأجاب النورسي فوراً « الدولة العثمانية حبلى حاليا بجنين اوربا وستلد يوما ما اما اوربا فهي الاخرى حبلى بجنين الاسلام وستلد يوما ما » فاعجب به الشيخ بخيت وقال له: وانا اوافقك تماما على رأيك وانتهت المناظرة ».(١)

مقابلته مع الماسوني اليهودي « كراصو »:

طلب اليهودي (عمانوئيل كراصو) رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس المبعوثان (البرلمان) العثماني مقابلة النورسي حتى يؤثر عليه وقد قابله بديع

(١) الدكتور سعيد رمضان البوطي: من الفكر والقلب، بيروت ١٩٧٢ ص ٣٠٥

الزمان وكانت النتيجة عكسية لدرجة ان عمانويل قال بعد المقابلة « لقد كاد هذا الرجل العجيب ان يدخلني في الاسلام بحديثه ».(١)

ومن الثابت انه كان في فترات سجنه يؤثر على المساجين ويدفعهم للصلاة حتى تصبح ظاهرة في السجن ،كما ان الكثيرين من رجال البوليس السري الذين كانت مهمتهم مراقبته كان الكثيرون منهم يصبحون من طلاب النور.

ومما زاد شخصية النورسي لمعانا ومكن لها من نفوس الناس وجعلها تحوز الكثير من الاعجاب والتقدير وتجذب الكثيرين من التابعين والطلاب مواقفه الثابتة المؤمنة الشجاعة في المحاكمات ومقدرته على مواجهة القضاة والمحكمين ومرافعاته الارتجاليه المنطقية الواثقة المقنعة التي كانت غالبا بل يكاد يكون دائما تحمل حتى المتعنتين على اصدار حكم البراءة والافراج عن الشيخ . حتى لقد استحالت قاعات المحاكم الى ابواق دعاية للنورسي ومرافعاته ورسائله لكثرة هذه المحاكمات التي جاوزت المئات . وقد كان لهذه المرافعات شأنها شأن الرسائل اثر كبير في يقظة الامة ونشر الوعى الاسلامي وخاصة ان بعض المحاكم كانت تحيل رسائل النور الى التحقيق على يد لجان متخصصة لتكشف ما فيها من خروج على القانون وكانت جميع تقارير هذه اللجان تزكية للرسائل وتنزيها لها عن الاتهام. وقد اودع النورسي الكثير من هذه المرافعات كليات رسائل النور فاورد دفاع محكمة (دنيزلي) الشعاع الثاني عشر ص٣٢٩ ودفاعات محكمة (افيون) الشعاع الرابع عشر ص ٤٠٣ وغيرها وبذلك اصبحت جزءا من رسائل النور واصبح مستحسنا ان نورد بعض نماذج قصيرة منها لبيان طبيعتها الخاصة وتميزها في بعض الجوانب عن غيرها.

فمن مرافعته امام محكمة عهد الاتحاد والترقي الذي كان يقوم على (المشروطية) اي الشورى:

« اذا كانت المشروطية تعنى مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة فليشهد الثقلان اني رجعي ذلك لان الاتحاد القائم على الكذب كذب ايضا والمشروطية

(١) احسان قاسم الصالحي: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره.

القائمة على اسس فاسده ومفسدة مشروطية فاسدة واذا كانت المدنية هي هذه التصرفات التي تمس الكرامة الانسانية وتعتدى عليها وهي هذه الافتراءات التي تؤدي الى النفاق وهي هذه الافكار التي تغذى الحقد والانتقام، وهي هذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الاداب الدينية ..اذا كانت هذه هي المدنية فليشهد الجميع اني ارجح وافضل قمم الجبال الشاهقة في الشرق في بلدي وافضل حياة البداوة في تلك الجبال حيث الحرية المطلقة على موطن النفار الذي تسمونه انتم قصر المدنية.(١)

– وفي بيانه الى مجلس الامة سنة ١٩٢٣ بعد الانتصار على اليونان في حرب الاستقلال:

(ان النعمة الالهية العظمى في انتصاركم هذا تستوجب الشكر لتستمر وتزيد اذ ان لم تستقبل النعمة بالشكر تزول وتنقطع فما دمتم قد انقذتم القرآن الكريم من اغارة العدو بفضل الله تعالى فعليكم اذن الامتثال بامره الصريح وهو الصلاة المكتوبة كي يظل عليكم فيضه وتدوم انواره.(٢)

– ومن مرافعته أمام محكمة (اسكي شهر) في قضية اتهامه بتأليف جمعية سرية والسعي لهدم اسس الثورة الكمالية:

« تسألون من أين نعيش؟ واقول لكم ان معارفي المقربين من اهالي (بارلا) التي بقيت فيها ما يقارب التسع سنوات يعلمون ان مصاريفي اليومية لم تكن تتجاوز المائة باره (فلس) وفي احيان اخرى كانت اقل من ذلك، وذلك بفضل الاقتصاد الشديد، وببركة الالتزام بكنز القناعة التامة، ثم ان كتاب سيرة حياتي الموجود لديكم يشهد باني استنكف من قبول اي هدية او صدقة من الناس بل كنت ارد ولا اقبل حتى هدايا اخلص اصدقائي وان ادى ذلك الى كسر خاطرهم وتألمهم.»(٣)

---

(١) رجل القدر ص ٥١–٥٥

(٢) النورسي متكلم العصر الحديث: الدكتور محسن عبدالحميد ص٢٥

(٣) المصدر السابق ص٣٢

– ومن مرافعته امام محكمة (دنيزلي) التي اتهم امامها بتحريض الشعب على الحكومة اللادينية ومحاولة قلب نظام الحكم:

« ايها البائسون الذين سقطوا في درك الكفر المطلق يامن بعتم دينكم بدنياكم.. اعملوا كل ما تستطيعون عمله ولتكن دنياكم وبالا عليكم.. وستكون.. اما نحن فقد وضعنا رءوسنا فداء للحقيقة القدسية التي تفتديها مئات الملايين من الابطال برؤسهم.. فنحن متهيئون وجاهزون لاستقبال كل انواع عقوباتكم.. بل حتى اعدامكم. ان وضعنا وحالنا خارج السجن – تحت هذه الظروف – اسوأ مائة مرة من حالنا داخله.. فلم يبق بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه الينا اي نوع من انواع الحرية.. لا الحرية العلمية ولا الحرية الوجدانية ولا الحرية الدينية. اي لايبقى امام اهل الشهامة واهل الديانة وامام مناصري الحرية ومحبيها من سبيل الا الموت او الدخول الى السجن.. وانا لله وانا اليه راجعون ».(١)

مؤلفات النورسي واسلوبها

ان الغالبية الغالبة من مؤلفات بديع الزمان النورسي ان لم تكن كلها مصدرها الالهام والذاكرة فلم يعرف عنه انه كان يرجع الى مراجع سوى القرآن الكريم والسنة الشريفة فكان يستغرق في النص القرآني ويستلهم الله ويملي تلاميذه ويكتب وهو في السجن ويملي وهو في شعاب الجبال وكانت الرسائل تستنسخ في كل مكان وفي اي وقت وعلى ضوء القمر والشموع وتوزع سرا وعلانية ويقول الثقاة المتابعون انه استنسخ من الرسائل اكثر من ستمائة وخمسين الف نسخة.

ومن أهم ما الفه باللغة العربية: « اشارات الاعجاز في مظان الايجاز » و« المثنوي العربي النوري » و« الصيقل الاسلامي » و« الخطبة الشامية » و« قزل ايجاز على سلم المنطق »و« تعليقات على البرهان » في المنطق.

---

(١) الشعاعات / ٣٣٢

وبالتركية: الكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات ومحاكمات وسنوحات ومناظرات ومفتاح لعالم النور ، وسيرة ذاتية كتبها طلابه وراجعها في حياته، وقد قام اخوه الملا عبدالمجيد وعدد من تلاميذه من طلاب النور بترجمة هذه الاعمال الى العربية وقد اعان الله الباحث الاستاذ احسان الصالحي على ترجمة رسائل النور كلها الى العربية فنفع الله بها المسلمون من قراء العربية من كل مكان.

ولمؤلفات النورسي كلها طابع خاص هو طابع كليات رسائل النور فلم تكتب لعرض الحقائق العلمية فحسب او لمتعة الوجدان واشباع الروح فقط ولكنها فيض من الالهام الايماني يعرض الحقائق القرآنية في اسلوب رائع ويزينها بالفن الادبي الرفيع ويسوقها في المنطق العلمي والعقلي السليم ويخاطب بها الفكر والروح والوجدان ليحبب الايمان الى الناس ويزينه لهم ويغرسه في اعماقهم عن اقتناع وباقبال حتى يصبح دافعا الى العمل الصالح والمنهج السوى والسعادة الدائمة في الدنيا والاخرة.

كان بديع الزمان النورسي يعرف بفكره والهامه مدى الغشاوة الكثيفة التي رانت على الوجدان المسلم نتيجة لما تعرض له من بعد عن منابع الايمان ومعاناه للحياة ووقوع في براثن استبداد الحكام فضلا عن تراجع مستوى الثقافة العامة وطغيان العلمانية والالحاد عن طريق الحضارة الغربية التي تبنتها السلطة القائمة وفرضتها بقوة القانون وعدلت الدستور والغت تطبيق الشريعة الاسلامية واللغة العربية، ولذلك كانت رسائل النور تحاول ان تصل لهذا الوجدان بكل وسائل ممكنة لضمان نفاذ الكلمة، من تبسيط المعنى وتكثيف وتكرار الاداء وجمال الاسلوب ومحاولة ايقاظ الروح وتنبيه العقل وحفز الشعور واثارة الخيال وتحريك الارادة.. والالحاح على العقل والفكر والروح والمشاعر بمختلف الاساليب البيانية، معتمدة اساسا على القرآن الكريم حتى لتعتبر رسائل النور تفسيراً شهودياً للقرآن ليس على اساس التفسير اللفظي والمعنوي الذي درج عليه غالبية المفسرين القدامى، ولكن على اساس شرح الاهداف والمقاصد

وضرب الامثال وتوضيح المعانى والاهداف الحقيقية الشاملة للكتاب الكريم وفهم المرامي والغايات منه.

وقد كانت المذاهب الادبية السائدة في الغرب في غالبيتها الغالبة تقوم على النظرة المادية للكون والحياة. فالرومانسية تقوم على شطحات الخيال والاحلام سبيلا الى سعادة الانسان، والواقعية ترجع الحركة الكونية الى المادة وتفاعلاتها، بينما يسند الطبيعيون كل اساس الوجود وتطوره الى الطبيعة وفاعليتها، اما النورسي في رسائل النور فمع انه لم ينكر وجود المادة الا انه الزمها مكانها في الكون وحدد تحركها وفاعليتها بارادة الله، وجعل نظامها في دقته ومدارها في استوائه شاهداً ودليلاً على وجود الخالق الاعظم وقدرته، وفهم النورسي الطبيعة وعرضها على انها صنعة الخالق وان الابداعات فيها استجابة لفطرتها التي فطرها الله عليها، واستند في كل ذلك على الفهم الواعي الملهم لآيات القرآن الكريم التي توفر لمن يفهمها الادراك الشامل لحقائق الكون وكيفية خلقه وتسييره وتسخيره لما خلق له، ومما ذكره في هذا المجال عن الطبيعة في محاولة لشرح ابعادها وسر القدرة فيها مايلي: «ان الطبيعة ليست طابعاً بل مطبعة، وهي ليست نقاشة بل نقشاً، وليست فاعلة بل قابلة، وليست مصدرا بل مسطرا، وليست ناظما بل نظاما، وليست قدرة بل قانونا، ان الطبيعة شريعة الهية وليس لها حقيقة خارجية»(١) وكان ذلك رداً ايمانيا مفحما للطبيعيين.

وتمتاز كتابات رسائل النور كما قدمنا بالاسلوب الادبي؛ رفيع المستوى المشوق الجذاب الذي يستعمل المحسنات اللفظية والتشبيهات البلاغية دون ان يجوز ذلك على المعنى بل يزيده ايضاحا ويحببه الى السامع والقارئ ويجعله ادنى الى آداء رسالته في التأثير، ومن الامثلة على ذلك ما جاء في المكتوبات عن التوحيد «اذا امعنا النظر في هذا الكون نرى سقفه العلوى قد ازدان بالنجوم وكأنه حديقة غناء، وارضه قد ازينت بموجودات مزينة، وفي هذا البستان فان الاجرام العلوية النورانية والموجودات الارضية المزينة بالحكم الجميلة

(١) اللمعات: اللمعة الثالثة والعشرون ص٢٨٣

يقول كل واحد فيها بلسانه الخاص وجميعها تقول معاً: «نحن معجزات قدرة القادر ذي الجلال ونشهد على قدرة الصانع ووحدة الخالق الحكيم».(١)

أهداف رسائل النور وخصائصها:

ورسائل النور هي محاولة مستميتة صادقة صادرة عن ايمان صادق معتمد على القرآن أساسا والسنة الشريفة لإيقاظ الوعى الايماني في اعماق النفوس في بيئة شاع فيها العلم المادي وسيطر عليها الالحاد متسلحا بالعلم مستعينا بالسلطة والقوة الرسمية، ولهذا كثيراً ما كان يقول الرائد وحامل الراية الامام بديع الزمان سعيد النورسي: «لو نشأت الضلالة عن الجهل فازالتها سهلة ولكن الضلالة الناشئة عن العلم ازالتها صعبة جداً» ولهذا ركزت الرسائل على القرآن واثبات حقائقه معتمدة على العلم والعقل والروح والايمان. وبذلك تبنى النورسي الجهاد المعنوي وركز عليه وكرس كل حياته لبيان القرآن للعالم وخاصة وقد اثاره ما سمعه عن قول (جلادستون) وزير المستعمرات البريطاني عن ضرورة محاربة القرآن – كما قدمنا – وقد وهب النورسي نفسه لاداء هذه الرسالة مضحيا بتكوين اسرة وجمع مال بل قضى معظم عمره مسجونا او منفيا او مشرداً في الجبال، وكل ما يحرص عليه دوام الاتصال بالناس وتعليمهم بواسطة رسائله وتلاميذه وخطبه وبياناته ومرافعاته في المحاكم.

وقد دعاه الى التركيز على الجهاد المعنوي ما صادفه في اول حياته من عقبات في سبيل العمل السياسي بمواجهة الحكام ومحاولة اثارة الرأي العام وتجييشه لحرب الضلال واخطاء الحاكمين، حتى انه بنفسه كان يقسم سنوات كفاحه بين سعيد القديم الذي كان يواجه السلطة بكل ما يستطيع عن قوة، وسعيد الجديد الذي يعكف على تربية النفس المؤمنة وتهيئتها للعمل المثمر الفردي والجماعي الذي يحقق خلاص الامة وتقدمها، ولن يحدث ذلك الا بشيوع الايمان الصادق القائم على الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم.. كان

(١) المكتوبات: ص٣٠٦

النورسي يريد الايمان التحقيقي الذي يقوم على الاقتناع بالبرهان ويواجه الالحاد بسلاح الايمان والعلم بدلاً من الايمان التقليدي المتوارث الذي يفتقر الى العلم الحديث والتبيين الكامل والرغبة في العمل والحماس له، ويبدأ دور سعيد القديم من مطلع شبابه الى اعلان الجمهورية اما دور سعيد الجديد فيبدأ بانتهاء السلطنة العثمانية واعلان الجمهورية العلمانية .

ان رسائل النور تريد الايمان وطريقها القرآن بتفسيراته التي تقوم على توضيح الايات القرآنية واثباتها بحجج قاطعة عالمة مستنيرة تواجه محاولات العلم المادي المضللة وذلك بحقائق علمية ثابتة شاهدة باسلوب ميسور وعبارات سهلة لاتمل بالتكرار اذ ان العلم والدين متحدان، والاسلام اب للعلم واستاذ له وتعارض العلم والدين ليس في الاسلام، ويعتقد النورسي ان السعي في العلوم الفنية لمنفعة البشرية عبادة بشرط ان يكون رضاء الله اساسا وغاية، ويقول ان العلم قد ورث عن ابينا آدم وان آدم قد فضل على الملائكة بسبب العلم لان الله عز وجل يقول: ﴿ **وعلم آدم الاسماء كلها** ﴾ وان الدين كما هو سبب للكمالات المعنوية فهو سبب ايضا للكمالات المادية، وان الرسل الكرام – عليهم وعلى نبينا السلام – كانوا قدوة للبشر في الكمالات المعنوية والمادية وعليه فان الدين الصحيح هو دافع الى التقدم في العلم والفن خدمة للبشرية المؤمنة.

والرسائل كانت تدعو وتعمل للتعليم والتنوير والاقناع ولا تعمل ولا تحض على الجبر والاكراه ولاتدعو الى ولاتناصر الحركات الثورية التي كانت تراها ضرراً للاسلام والمسلمين، ويقول بديع الزمان: «ان الغلبة على المتمدينين هي بالاقناع ليس بالاجبار كما هو شان المتوحشين. فان الاسلام لايقبل النفور والعداوة والهجوم ولايحتاج اليها لانه نور وانتشاره نوراني ايضاً».

والرسائل وسيلتها ايجابية واصحابها لايعتدون، ولكن لايخافون، وطريقها ان يبدأ المسلم باصلاح نفسه اولا، ويقول بديع الزمان: «ان من لايصلح نفسه لايمكنه اصلاح الغير، ولو تمسكنا بالاخلاق الاسلامية واظهرنا بافعالنا هذه الكمالات لدخل اتباع سائر الاديان الاسلام افواجا .(١)

(١) صيقل الاسلام – الخطبة الشامية ص ٤٩٤

وتحض الرسائل على الاخلاص والوفاء والفداء، ويقوم اسلوبها على مخاطبة النفس والحكاية والقصص القصيرة وضرب الامثلة، وهي تنظر الى القرآن الكريم الذي تتلمذ عليه على انه ثلاثة كيانات. فالكيان الاول هو القرآن المقروء المتمثل في الكتاب المنزل، والكيان الثاني هو الكيان المشهود المتمثل في الكون كله، والكيان الثالث هو الكيان الناطق المتمثل في الرسول الكريم ﷺ وسنته الشريفة باقواله واعماله، وتحاول الرسائل ان تنقل القرآن بكل كياناته الثلاثة في نورانيته المبهرة الى المتلقين، حيث يخاطب الاذن سامعةً والعين قارئةً وناظرةً والعقل مفكراً ومتأملا والروح مصغية ومنتشيه حتى ينفذ الى اعمق الاعماق ويملك النفس ويثير المشاعر ويحرك الارادة، وتصبح العقيدة سلوكا وعملا صالحا للمسلمين جميعاً ابتغاء انتشالهم مماصاروا اليه ودفعهم الى ما يجب ان يكونوا عليه عندما ارتضوا ان يكونوا مسلمين.

لا فلسفة ولا تصوف

ان كان علماء الكلام المسلمون المهتدون السابقون قد حافظوا على بقاء العقيدة الاسلامية فكراً مجرداً يدرك حقيقته العلماء ويتلقاه الناس الا ان المسلمين قد جانبه سلوكهم وتصرفاتهم واعمالهم، فتخلف المسلمون وسبقهم غيرهم، ولهذا شمر النورسي عن ساعد الجد وكتب ونشر واذاع رسائل النور محاولا بث الحياة والحيوية والحركة المعاشة في العقيدة والشريعة الاسلامية، وقد نظر النورسي في الفلسفة في جميع العصور ووقف منهما موقف الناقد المنطقي الواعي الحريص على بيان مواضع الزيغ فيها المستحسن لما صلح منها مبينا الاسباب عن علم ودراية شارحا الفرق بينها وبين تعاليم القرآن الكريم، لان فلسفة فلاسفة اليونان كسقراط وارسطو وافلاطون ضلت السبيل لانهم بشر وقفوا عند ماتدركه حواسهم وتفهم عقولهم فقط، ولذلك جعلوا الاصل الانسان وجعلوه محور الكون وسموا المرجع الاعلى العقل الاكبر مع انه مخلوق، ولم يصلوا الى الايمان بالخالق الاعظم، اما من تبعهم من فلاسفة

المسلمين كالفارابي وابن سينا فلم يصلوا من الايمان الا الى المركز الادنى لانهم جاروا فلاسفة اليونان وساروا على نهجهم، وبين كل هذا يستحسن النورسي الفلسفة التي تفهم حقائق الدنيا وتدعو الى عمارها وتحض على العلم والعمل الذي هو ضرورة العمران وسبيل سعادة الانسان، وهو يقول: «ان فلسفة البشر تنظر الى الدنيا على انها ثابتة ودائمة فتذكر ماهية الموجودات وخواصها ذكرا مفصلا مسهبا بينما لو ذكرت وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فانها تذكرها ذكرا مجملا اي انها تفصل في ذكر نقوش الكون وحروفه في حين لاتعير معناه ومغزاه اهتماما كبيرا، اما القرآن الكريم فهو ينظر الى الدنيا على انها عابرة لذا يذكر خواص الموجودات وماهيتها المادية الظاهرة ذكرا مجملا بينما يفصل تفصيلا كاملا في وظائفها التي تنم عن عبوديتها التي اناطها بها الصانع الجليل».(١) ويقول «ان في تاريخ البشرية منذ زمن سيدنا ادم عليه السلام حتى وقتنا هذا تيارين عظيمين كانهما شجرتان ضخمتان احداهما سلسلة النبوة والدين والاخرى سلسلة الفلسفة، فمتى كانت هاتان السلسلتان متحدتين وممتزجتين في اي وقت واستجارت الفلسفة بالدين وانقادت اليه واصبحت في طاعته انتعشت الانسانية بالسعادة، ومتى انفرجت الشقة بينهما وافترقتا، احتشد النور والخير حول الدين والنبوة، وتجمعت الشرور والضلالات حول سلسلة الفلسفة»(٢) ويقول «ان الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور هي الفلسفة المضرة وحدها وليست الفلسفة على اطلاقها لان الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية وتعين الاخلاق والمثل الانسانية وتمهد السبيل للرقى الصناعي هي في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم.»(٣)

حاولت الرسائل النورانية ان تغرس في نفوس المتلقين الايمان بالحياة وتطورها وتجددها في اطار السنن الكونية التي شرعها القرآن الكريم الذي ينظر الى الكون بذراته واجزائه المتفرقة نظرة واحدة ويربط بينهما رباطا وثيقا حتى كان الكون

(١) الكلمة الخامسة والعشرون ص٥٠٨
(٢) الكلمة الثلاثون ص٦٣٩
(٣) ملحق أميرداغ ص٢٨٦

وكل ما فيه وحدة واحدة، ولذلك فالنورسي لاينظر باقتناع ولا رضى الى مجريات وتطورات الحياة المدنية الغربية الحديثة التي قامت على اساس النظريات الفلسفية المادية دون نظر والتفات الى تعاليم الاديان.

فالحضارة الغربية تؤمن بالقوة ولاتدين الا لها ولا تلقى التفاتا كبيراً للحق ولذلك فان القوة وحدها هي التي تحكمها وتقيم الموازين بينها، وهي كذلك تجعل المنفعة الذاتية هدفها وغايتها ضاربة عرض الحائط بالقيم والاخلاق والمبادئ والمثل التي لا تعدو كونها نظريات يكثر الحديث عنها ولكنها لاوجود لها عند التطبيق العملي وهذا يؤدي الى التزاحم والتنافس والتصادم والجناية على حقوق الافراد والشعوب وبالتالي يصبح منهج الحياة قائما على التسابق ومحاولة الغلبة والصراع الدائم عسكريا واقتصاديا وثقافيا، ومن هنا يشيع التعصب للقوميات والتشبث بالعنصرية التي تفرق الشعوب بعضها عن البعض الاخر وتنشر بينها العداوة والخصام والفرقة، واخيرا وليس اخرا فهي تقوم على الماديات المجردة وتبتعد عن الروحانيات والمعنويات ولذلك فهي تشجع الاهواء والرغبات الذاتية وتعمل على اشباع الغرائز والشهوات والمطالب المادية المختلفة مما يشيع الانانية ويوقع بين الناس بعضهم والبعض الاخر وتفقد الانسانية روح الاخاء والحب والسلام.

اما الحضارة المثالية – كما تقول الرسائل – التي يدعو اليها الاسلام فهي تقوم على الحق بدل القوة وتستهدف العدالة والتوازن بين **الحقوق والواجبات** وبهذا تمهد لسيادة السلام، وهدفها هو رضاء الله **والفضيله بدل المنفعة المجردة** وهذا يشيع التعاون والحب والتآخي بين الناس، ودستورها هو التعاون والتكامل بدلا من الانانية والجشع والاستئثار، اذ أن اساسها هو الاسلام الذي يتساوى في ظله الجميع وتقوم على اساسه حضارة متكاملة تستند الى الايمان والعلم والعقل والروح وتلافي اسباب الفقر، والعمل على الضمان الاجتماعي.. ووسيلتها تزكية اخوة الايمان وتجنب العنصرية والقومية المتعصبة.

وتفصيل هذه الفوارق بين الحضارتين تذكرها رسائل النور اذ تقول: «ان

الحضارة الغربية الملحدة السائدة صارت سما زعافا للانسانية بدلا من أن تكون لها ترياقا شافيا اذ القت بثمانين في المائة من البشرية في شقاء لتعيش عشرة في المائة منها في سعادة مزيفة اما العشرة في المائة الباقون فهم حياري بين هؤلاء وهؤلاء، اما الشريعة الاسلامية فهي تغرس في روح الانسان الشفقة وعزة الايمان والحب والتعاون والعمل من اجل المجموع».(١)

كان النورسي يعيش في حياته الخاصة حياة الزهد فلا زوجة ولا اسرة ولا عناية تذكر بالمأكل والمشرب والملبس والحياة الناعمة او حتى العادية، فقد قضى اغلب عمره في السجون او في المنافي في فيافي الارض او شعاب الجبال، وكان يدعو الى تطهير النفس وحماية العقيدة الاسلامية من مخاطر الفلسفات المادية الملحدة، ومع ذلك لم يكن صوفيا بالمعنى المفهوم بل كان عالما مفكراً مجدداً اسلاميا وداعية الى الله ورسوله والقرآن الكريم معتقداً ان العصر هو عصر ضرورة اظهار حقائق الاسلام وتقوية الايمان وتربية الامة على الاخلاق الاسلامية في مواجهة الغزو الثقافي المركز الذي تشنه الدوائر الاستعمارية ومراكز القوى الصليبية، وكان يؤكد لتلاميذه في رسائله على انه ليس صوفيا ولا يدعو الى الصوفية التي كان يختلف معها مع احترامه لها في اسس فكرية وسلوكية منها انه كان – كما كان يريد لاتباعه – لايؤمن «بوحدة الوجود» كما كان يقول محى الدين بن عربي ولا «بوحدة الشهود» كما كان يقول المتصوفة لان اصحاب هذه الوحدة او الشهادة كانوا يؤمنون انه لا موجود الا هو، ولا مشهود الا هو، اما ماسواه من باقي الموجودات او المشهودات فهي عدم ولا وجود لها، اما النورسي فقد كان مستلهما للقرآن ومدركا لحقيقة معانيه يرى ان الاكوان والموجودات والناس لها وجود خاص لانها انعكاس وصور من اسماء الله الحسنى ولكنه وجود نسبي وليس وجودا مطلقا فهو يختلف عن وجود وديمومة الوجود الاعظم وجود الخالق ولكنه وجود على اي حال وان كان المدى واسعا جدا بينه وبين ديمومة وخلود وبقاء الخالق الكبير الذي له مشيئته

---

(١) الكلمات– اللوامع ص٨٥٥

المطلقة في التصرف في الكون الذي هو خالقه ورازقه ومصرفه والحاكم عليه. يقول النورسي: «ان اهل (وحدة الوجود) توهموا الكائنات عدما فقالوا لاموجود الاهو لاجل الوصول الى الاطمئنان والحضور القلبي، وكذا اهل (وحدة الشهود) حيث سجنوا الكائنات في سجن النسيان فقالوا لامشهود الا هو للوصول الى الاطمئنان القلبي، بينما القرآن الكريم يعفو الكائنات بكل وضوح عن الاعدام ويطلق سراحها من السجن، فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر الى الكائنات انها مسخرة لفاطرها الجليل وخادمة في سبيله، وانها مظاهر لتجليات الاسماء الحسنى كانها مرايا تعكس تلك التجليات».(١)

وقد ذكر النورسي مرارا انه مع اختلافه مع ابن عربي الا انه يعترف له ببعض فضله وكان يقول عنه ان صوفيته لاتستطيع الوقوف امام الهجوم المشكك في الاسلام لانها تعتمد على التجربة الذاتية ولا تعتمد في ادراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والادلة العلمية التي هي بضاعة هذا العصر الرائجة.

التربية السلوكية:

ومن اهم اسس التربية السلوكية في كليات رسائل النور ان اتباع السنة النبوية المطهرة هو اقوم طريق للوصول الى المرتبة الرفيعة، والاتباع يعنى تحرى المسلم السنة السنية وتقليدها في جميع التصرفات والاعمال والاستهداء بالاحكام الشرعية في جميع المعاملات والافعال فإن اعمال الانسان اليومية ومعاملاته العرضية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع شكل العبادة فضلا عن ان اتباع السنة وتحرى شرع الله في شئون المؤمن جميعها تجعله في صحوة دائمة وتذكر للشرع مستمر، وتذكر الشرع هذا يؤدي الى ذكر صاحب الشرع الذي يؤدي الى تذكر الله سبحانه، وذكر الله سبب لسكينة القلب واطمئنان الروح. اي ان ساعات العمر ودقائقه يمكن ان تنقضى كلها في عبادة مطمئنة.

(١) الكلمة السادسة والعشرون ص٥٦١

ويرى النورسي: «ان لاينبغي ان تتحول الطريقة والحقيقة لدى الصوفيين من كونهما وسيلتين فيصيران غايتين لانه بذلك تنحسر الاعمال الدنيوية الشرعية المحكمة وآداب السنة السنية العملية الى الدرجة الثانية من اهتمام السالك وتصبح صورية وشكلية»(١) وهذا وجه اخر من وجوه الاختلاف بين المتصوفة والنورسي، الذي لم يكن يستهدف قيام طريقة صوفية منعزلة مترهبة تعنى بالوصول الروحاني لافراد او جماعات، بل كان يعني بتدريب الامة الاسلامية كلها على عمق وصدق الايمان بالله مع العناية بالعمل الدنيوي الصالح الملتزم بالشريعة سبيلا الى سعادة الدنيا والآخرة.

وفي رسالة للنورسي توضح هذا الموقف حول الولاية والتصوف يقول «ان هذه الدنيا هي دار حركة وعلم وسعى وليست دار جزاء وثواب ولذا فلا تطلب فيها اللذائذ والاذواق ولا تقصد فيها الكرامات وانما ينبغي فيها الالتزام بالشريعة لان الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة.»(٢)

واذا كان المتصوفة يدعون الى الزهد وكبح جماح النفس والتفكير في الموت وترك الحياة الفانية فان الدعوة النورية تتمسك بالحياة وضرورة العمل الصالح فيها سبيلا الى رضاء الله.

لايرفض التصوف وان اختلف معه ولكنه يقول ان التصوف غير ملائم لمرحلة الكفاح التي يعيشها او يجب ان يعيشها المسلمون ويضيف «ان لايمكن دخول الجنة بغير ايمان بينما يدخلها الكثيرون جدا بدون تصوف، فالانسان لايمكن ان يعيش بدون خبز بينما يمكن يعيش بدون فاكهة، فالتصوف فاكهة والحقائق الايمانية خبز»(٣) والطرق الصوفية نفعها قليل لنا في الوقت الحاضر واحتمال الحاقها الضرر بوضعنا الحالي ممكن.

ومما سبق يتضح ان النورسي كان منصفا للتصوف مع حرصه الشديد على ان يبعد مظنة التصوف عن اتباع رسائل النور للاسباب التي افاض في شرحها،

(١) المكتوبات ص٥٨١

(١) من رسالة «الولاية والتصوف»: النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد.

(٢) المكتوبات ص٢٧

مع انه كان حريصا ايضا على ان يحمد للتصوف الذي لم تشبه الشوائب انه طريق للحب وانه وسيلة لحب الله ورسوله وان غرس هذا الحب من اهم الوسائل التربوية ومن اهم اهداف رسائل النور لانه وسيلة لاثارة النفوس الخامدة والقلوب الجامدة التي يسيطر عليها حب الشهوات وبهارج الحياة، والرسائل تنظر الى الحياة والمادة نظرة تقدير ولا تدعو الى الانصراف عنها، ولكن تدعو الى التوازن في كيان الانسان بين الروح والمادة حتى يجابه صراع الحياة محافظا على انسانيته، ولايسقط في حمأة الحيوانية الهابطة فالنورسي يقول: «اجعل عينيك للحياة في سبيل الله ولوجهه الكريم فالتلذذ بالاطعمة الشهية وتذوق الفواكه الطيبة مع التذكر بانها احسان من الله سبحانه وانعام من الرحمن الرحيم يعني المحبة لاسم (الرحمن) واسم (المنعم) من الاسماء الحسنى، والذي يدلنا على ان هذه المحبة لم تكن للنفس والهوى بل لاسم الرحمن هو كسب الرزق الحلال مع القناعة التامة ضمن الدائرة المشروعة.

ثم ان محبتك للوالدين واحترامهما انما تعود الى محبتك لله سبحانه وتعالى اذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما بتربيتك ورعايتك بكل رحمة وحكمة، اما محبة الاولاد فهي كذلك محبة لله واستجابة لتوجيه منه سبحانه للقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة لكونهم هبة من الرحيم الكريم، اما محبة الاصدقاء وودهم فان كانوا من اصحاب الايمان والتقوى فان محبتهم هي في سبيل الله وتعود اليه سبحانه بمقتضى (الحب في الله).

اما محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك فعليك بمحبتها على انها هدية انيسة لطيفة من هدايا الرحمة الالهية. أما محبة الأنبياء عليهم السلام والاولياء الصالحين فهي ايضا لوجه الله وفي سبيله من حيث انهم عباد الله المخلصون المقبولون لديه جل وعلا فمن هذه الزاوية تصبح هذه المحبة لله»(١)

ومن هذا يتضح ان كليات رسائل النور كانت تستهدف كاسلوب من اساليب التربية والسلوك تغرس الحب بجميع اشكاله وصوره ومنطلقاته في

(١) النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد ص٢٢١-٢٢٣عن الكلمات

اعماق النفس المؤمنة على انه يشكل وجها مشرقا من وجوه الصلة والارتباط الله ومصداق ذلك قول النورسي: «ان الحياة التي وهبها الله للانسان هي راس مال عظيم تستطيع ان يكسب به الحياة الاخروية الباقية وهي كنز عظيم يحوى اجهزة وكمالات خالده، ومن هنا فالمحافظة على الحياة الدنيا ومحبتها من هذه الزاوية وتسخيرها في سبيل الله عز وجل يجعلها تعود الى الله سبحانه، اذ ان محبتها والشغف بها على هذه الصورة ينقلب الى محبة لوجه الله تعالى اذ هي في هذه الحالة تكون مزرعة للآخرة ومرآة لاسماء الله الحسنى ورسائل ربانية الى الوجود ودار ضيافة مؤقتة، فاجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمى) اي لمعنى ما فيها وليس لذاتها ولاتقل لشئ «ما اجمل هذا» بل قل (ما اجمله خلقا) واياك ان تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في قلبك.

وهكذا فان جميع ما ذكرناه من انواع المحبة ان وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفا اي عندما تكون لله في سبيله فانها تورث لذة حقيقية بلا الم وتكون وصالا حقا بلا زوال بل تزيد محبة الله سبحانه وتعالى فضلا عن انها محبة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها وفكر في آلائه بالمحبة عينها».(١)

وموقف رسائل النور من الشريعة الاسلامية موقف واع ومنطقى ومتناسق مع هدف الرسائل ومبتغاها، فهي تبسط الحديث عنها كعنصر من عناصر الايمان وتلتمس في عدالتها وشمولها وحكمتها البالغة دليلاً على صدق الرسالة المحمدية وعظمة المولى موحى هذه الشريعة ولكنها تقبض هذا الحديث عن تناول تفاصيل دقائق الشريعة واحكامها وقوانينها التفصيلية الدقيقة، وذلك لان الغاية المنشودة من الرسائل هي انقاذ الايمان وشرح اصول العقيدة والشريعة وتربية النفس المسلمة والدعوة الى اتباع الاخلاق الاسلامية الفاضلة، لان النورسي كان رجلا قرآنيا والقرآن عقيدة وشريعة وسلوك وتربية في نظام شمولي متكامل يعبر عن سنن الله في الوجود ودستوره في الارض وقوانينه الكلية في

(١) الكلمة الثانية والثلاثين من ص٧٦٥ وما بعدها.

حياة الافراد والمجتمع. ولذلك لم تكثر الرسائل الحديث عن تفاصيل الشريعة، لان المجتمع الذي فقد اسس الايمان وحرارة الانتماء لافائدة في ان تحدثه عن تفاصيل أحكام الشريعة .فالقاعدة الايمانية اذا سادت فحينئذ ياتي تطبيق شرع الله خطوة طبيعية نحو الوصول الى مجتمع يحكمه نظام الاسلام أي أن النورسي كان يريد ان يبدأ من الايمان الى التربية الى الشريعة ولكن ليس معنى ذلك ان يتناول هذه العناصر منفصلة دون ترابط جامع ولذلك فانه كان يدل المسلمين في احيان كثيرة الى عظمة الشريعة الاسلامية في مصادرها وحكمتها وشمولها لحياة الانسان ولذلك قال: «ان جمال انتظام هذه الشريعة الغراء وجمال تناسبها الدقيق وحسن تناسب أحكامها ورصانتها كل منها شاهد عدل لا يجرح وبرهان قاطع باهر لايدنو منه الريب أبدا على أحقية القرآن الكريم، بمعنى أن البيانات القرآنية لايمكن ان تستند الى علم جزئي لبشر ولاسيما انسان امي بل لابد ان تستند الى علم واسع محيط بكل شئ ويصير بجميع الاشياء معا».(١)

ويصف النبي ﷺ بأنه صاحب الشريعة التي هي بسعة دساتيرها وقوتها تشير الى انها نظام الكون ومن وضع خالق الكائنات ويقول: «ان ناظم الكائنات بهذا النظام الاتم الاكمل هو ناظم هذا الدين بهذا النظام الاحسن الاجمل».(٢) ويدعو النورسي قومه الى تطبيق الشريعة الاسلامية، لانها انجع دواء وأنفعه للامراض الروحية والعقلية والقلبية ولاسيما الاجتماعية منها، ولايمكن ان تقوم مقام حلول الشريعة اي فلسفة ولا أية مسألة حكيمة»(٣) ويتحدث عن الصراع الطبقي بين الاغنياء والفقراء في الحضارة الغربية ويقول «ان الشريعة الاسلامية حسمت الصراع بفرض الزكاة وتحريم الربا».

اما الاجتهاد فقد عالجه بحكمة بالغة فالاجتهاد مطلوب وله ماض مشرف

---

(١) الكلمات ص١٥٤

(٢) الكلمات ص٣٤٤

(٣) اللمعات ص٨٩

ولكن يجب الحذر منه في الوقت الحاضر لانه يصبح بابا للتخريب حين يدخله غير المؤهلين له والمتأثرون بالفلسفة المادية المبهورون بمظاهر الحضارة الغربية.(١)

تربية الفرد

ان نظرية النورسي في تربية الانسان المسلم تربية اسلامية صحيحة نابعة من تأسّيه بمسيرة النبي ﷺ حين وضع بذرة الايمان الاولى في اعماق نفس الانسان فصادفت التربية الصالحة فنمت واثمرت واستطاع افراد كانوا يعدون على اصابع اليد في اول الامر ان يكونوا نواة لدين اسلامي حنيف عم الخافقين. وقد هيأت حياة النورسي التي قضى شطرا كبيرا منها قابعا في ظلمة السجون او منفردا مشردا في شعاب الجبال الكثير من التأمل والتدبر والوصول الى اعماق الحقائق، ولذلك تركزت رسالته على تربية النفس البشرية وغرس الحقائق الايمانية فيها وصبغها بها، لتصبح هذه الحقائق سلوكا وحركة انسانية تعمر الكون على سنة الله ورسوله، ولعل هذا هو الذي دفعه الى ان يعني بالكيف قبل الكم وان يتحول من سعيد القديم المنغمس في السياسة الى سعيد الجديد الذي يكرس نفسه لصياغة المفهوم الصحيح للايمان الكامل صياغة فكرية روحية فنية جذابة تملأ العقول والقلوب والارواح وتبلغ اقصى غاية التأثير في نفوس سامعيها ومتلقيها الذين كان يحرص النورسي على الاتصال الشخصى بالقادة منهم سبيلا الى صلابة النواة ودفع القوة فيها لضمان فاعليتها الان وفي المستقبل الى حد انه كان يقول: «ماذا أفعل؟.. ان قدري دفعني الى هذه الدنيا في زمان غير زماني.. انه شتاء الاسلام الكابي الحزين.. لا حيلة لي الا ان ابذر بذور الربيع القادم الذي لايريد ان يبصره هذا العصر.. وحين تنبت هذه الزهور وتتسنبل ويأتي ربيعها اكون قد فارقت الدنيا.. لكني سوف اتنسم نسمات ربيع الاسلام وأنا راقد في قبري.. فاستشراف مستقبل الاسلام الزاهر هو عزائي وسلوتي في غربتي».

---

(١) الكلمات ص٥٦٢-٥٦٨

لقد وجد النورسي نفسه يعيش في مجتمع اسلامي غاب عنه الوعي الايماني العميق فانطفأ العقل المسلم القادر على صنع الافكار المستنيره واصبح فريسة لدعاة تسطيح المفاهيم والمدارك، وتخدر المسلمون بمغريات الحياة حتى فقدوا الحس بمخاطر ما يحيط بهم وزحفت عليهم الحضارة الغربية المادية الملحدة متسلحة بالغزو الفكري مستنده الى السلطة الحاكمة الغاشمة، فغفل المسلمون عن اشراقات دينهم او كادوا، وكان لابد ان يعود الوعي الاسلامي المنقذ. وهكذا انطلق النورسي مستغنيا بنفسه متقويا بربه مستعليا على الخوف لانه يعتقد ان ضعف الفريسة لايثير اشفاق المفترس ولكن يقوي شهيته للفتك ولذلك لم يستكن للجبروت والسلطان.

كان الانسان المسلم هو هدف رسائل النور وكانت غايتها دفع الحياة الاسلامية الى الفعالية لتحقيق اهداف الشريعة المحمدية وكانت وسيلة الامام ان يبدأ بنفسه وان يوجه الخطاب اليها وأن يتصل بطلابه لتشيع قوة الايمان بينهم وتتحقق نظرية الاواني المستطرقة لتطبيق نظرية التربية السلوكية المنشوده لكليات رسائل النور وتتألق الهبة الالهية والمنحة الربانية التي يمنحها الله سبحانه وتعالى للصفوة من الناس ممن رسم لهم القدر ان يحتلوا مراكز الاشعاع في المكان الذي يوجدون فيه، فان الانسان الذي تتوجه اليه رسائل النور بمعارفها هو لب الدنيا،والحياة الدنيا هي قشرته التي تتفاعل فيها نواته وتتألق فيها ملكاته سبيلا الى مآله الاخروي الذي هو اعظم الاشياء ومنتهى الاهمية والخلود، وان كان الانسان يدرك الدنيا ويتعامل معها بعقله وحسه فانه يدرك الآخرة بقلبه وروحه ولذلك فانه يتلمس طويقة بالعقل المستضئ بالايمان وبالبصيرة المستنيرة بالقرآن وذلك هدف رسائل النور التي تدفع الانسان الى ان يكون قلبا في عقل وعقلا في قلب حيث توافر في تعاليمها واسلوبها عناصر المسيرة الحياتية من رقة في شدة ورأفة في قوة وتواضع في شموخ اذ تربط رسائل النور بين الانسان والكون والله فالانسان هو الكون مصغرا والكون هو الانسان مكبرا والله جل وعلا هو الخالق وميسر الاسباب والطريق اليه هو العلم

الذي هو النفس المنفوث من وحي الله والمودع في جوف الكون وضمير الارض والسماء ولذلك صار لزاما ان يتلقاه الانسان باللهفة التي يتلقى بها وحى الله في قرآنه الكريم لان الوحيين كليهما يشيران الى الله تعالى ويدلان عليه. وبهذا التأمل والمتابعة لاسلوب كليات رسائل النور يتحول الايمان التقليدي في نفوس المسلمين الى ايمان تحقيقي ينبض بالحيوية ويربط الانسان بالله ويقوي ثوابت الكون الظاهرة والخفية ويعطى الانسان في نهاية المطاف الطمأنينة والثقة والقوة والمقدرة على حل المشكلات وتيسير كل النشاط الانساني.

ان رسائل النور في محاولة تربية النفس المسلمة وتقويم سلوكها تعتمد اساسا على غرس الايمان الصحيح فيها انطلاقا من ان الانسان منذ نشأته الاولى ومواجهته لظواهر الكون والقوى الطبيعية حوله هو كائن ميتافيزيقي يؤمن بالغيب ويحتاج الى قوة اكبر منه تحميه ولذلك كان يبحث دائما عن إله وبذلك قالت الغالبية الغالبة من الفلاسفة القدماء والكهان حتى علماء النفس والاجتماع المعاصرين واتفقت على ان الانسان بطبيعته وحكم البيئة فيه كان ويظل محتاجا الى قوة تحميه وتفسر مالا يدركه من الخوافي والغيبيات التي تحيط به.

ومن هنا انطلق النورسي مستندا الى الهامه وايمانه وادراكه ان القرآن الكريم بما فيه من اشارات بالغة الى مظاهر الكون وحث على العلم بها واستمرارها ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾(الملك: ١٥) وبيانات عن شواهدها ومواطن الغيب والشهود فيها يجيب على تساؤل الانسان ويشحذ ملكاته ويدفعه الى المزيد من البحث والتأمل والمعرفة ويدمجه بين الظواهر الكونية بما يتميز به من صفات اسبغها الله عليه وميزه بها، وبذلك يحمل اليه الطمأنينة والسلام النفسي والانسجام مع الكون والمخلوقات والظواهر ويغرس في النفس البشرية الثقة بالله ويربط بين الاسماء الحسنى وظواهر الكون المختلفة ويفتح للانسان افقا غيبيا ومشهودا لتفسير الظواهر الكونية وبالتالي تطويعها وتيسير استثمارها لخدمة الانسان والحياة الدنيا بفضل العلم.

ويمكن اجمال الهدف التربوي لرسائل النور في انها تعمل على تمكين الايمان بالله في النفس البشرية بمخاطبة العقل بمعطيات الواقع مع غرس الايمان بالغيب في الوعي دون تصادم مع واقعات الحس ومقررات العقل المنطقي السليم ونتائج العلوم التجريبية اليقينية القطعية ثم استثمار الدوافع الوجدانية والعقلية والروحية والاخلاقية لتجنب الغفلة والمعصية والغرور والتعصب والوهم والتنظير غير العملي.

ومن تفاصيل اسلوب التربية الاخلاقية عمدت الرسائل الى تزكية المفردات الاخلاقية كالصدق والامل والصبر والشجاعة والتضحية كطريق لإزهار الاخلاقيات عامة كما رسمت رسائل رضاء الله كالشكر والتذلل والتوكل والحب والاخلاص، وفي سبيل بناء المجتمع الاسلامي نظمت الرسائل العلاقة بين الفرد والمجموع، ودعت الى التسامح والحب والتعاون وعدم الاسراف والاستغراق في الكماليات كما وضعت الرسائل ايضا اسسا موضوعية جادة للحوار ورسم قواعد لمنع الاختلاف او تجاوزه او تخفيفه.

وباختصار سعت الرسائل – كما ذكرنا من قبل – الى بناء مجتمع يقوم على الحق بدلا من القوة وعلى ابتغاء رضاء الله بدلا من التزاحم على المنافع ويقيم البناء على البر والتقوى لا على الصراع والجدل وتربطه الاخوة الدينية الجامعة ولا تشتته العنصريات المتعصبة، وتتهذب فيه رغبات الانسان بدلا من العشوائية والفوضية وادعاء الحريات بلا حدود.

وفي ميدان التربية العاطفية حرصت الرسائل على احترام العواطف الانسانية وتوجيهها لوجه الله الكريم. فاذا كانت اللذة العاطفية السائبة ممتهنة بالابتذال الحسي ومتنغصة بالم ترقب الزوال وتوقع الفراق وتوجس الفقر ووخز اشواك الغيرة والحسد فان اللذة العاطفية المنضبطة بالايمان لذة نقية شفافة دائمة مطمئنة واثقة راضية مرضية مستريحة للواقع آملة في المستقبل مؤمنة بديمومة الخير، وقد حللت الرسائل مشاعر وعواطف الخوف والكراهية والرغبة تحليلا سليما يكشف المواطن الايجابية المحتملة فيها والمواطن السلبية مما يحبب النفس في الايجابي وينفرها من السلبي.

ومن ناحية الاحساس بالجمال واستثمار ذلك الاحساس في تهذيب النفس البشرية وترقية مشاعرها وضمان سلوكها الرفيع تشرح الرسائل ان احساس الانسان بالجمال فطري اصيل والجمال الشائع في الكون ينطوي على الخير (لمسات التجميل والتحسين رحمة مرادة) والاحساس بالجمال منه ماتدركه الحواس السمعية والبصرية والشمية والذوقية، ومنه الروحي والعاطفي الذي تتذوقه العقول والارواح والقلوب وبالاستمتاع بالجمال المشروع تتهذب مشاعر الانسان وتتطهر افكاره وتصفو نفسه وتتجه نقية طاهرة الى خالقها، ويحرص النورسي على الالتزام بالضوابط الشرعية في التمتع بالجمال لتتكامل الفائدة.

ويقول عن ادب القرآن انه يختلف عن الادب الغربي فهو ادب توحيد يبث الطمأنينة ويقضي على بواعث الشك والاغتراب ولايحرك الاهواء والشهوات، بل ينشد الحق والجمال الخالص ويتبنى الصدق فهو ادب الحقيقة بمعناها الشامل الناتجة عن التأمل في وحي الله باجتهاد الانسان ومنظوره للواقع اذ يستوعب المحسوس المجرب والمخبؤ المغيب في الكون والحياة والانسان.

ومن ناحية السلوك فيما يتعلق بالتربية البدنية تدعو الرسائل الى الاقتصاد في الاستجابة الى المتطلبات الجسدية وعدم الاسراف في الطعام والحرص على الرعاية الصحية جسديا وروحيا، ولم تقف الرسائل طويلا في هذه الناحية لان الحياة العملية للقادة كانت قدرا مشتركا بينهم وكانوا يلمسون كيف يعيش الامام وغالبية حياته كانت في السجن او المنفي والتقشف طبيعة فيه.

ومن حيث تدريب ارادة الانسان على العمل الصالح تحترم الرسائل حرية الارادة البشرية في نطاق رعاية القدر لان هذه الحرية مناط المسؤولية، ويصوب النورسي النظرية الغربية التي تقول ان الانسان حر مالم يضر بغيره، الاّ انه يضيف: ان الانسان حر مالم يضر بنفسه ولا بغيره فهو ليس حرا في ارتكاب المعاصي التي يؤذي بها نفسه، ويحذر من اليأس والقنوط والطمع وحب الظهور والخوف والحزن والعجلة والاستبداد بالرأي والاسراف والرياء والانانية.

وبالجملة فان الرسائل التربوية للسلوك في رسائل النور تعتمد اساسا على

الثقة المتفائلة بالانسان مع توجيه الخطاب الى العقل والقلب والروح معا والدعوة الى التعلم من الطبيعة والتأمل في كتاب الكون مع ضربه الامثال وعرض النماذج السلوكية للرسول الكريم ﷺ وصحبه المقربين، والاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة والحقائق الدينية اليقينية واحترام الحدود الفاصلة بين عالم الغيب غير المسموح نصا باختراقه وبين عالم الشهادة المسخر للاكتشاف والاستثمار، كل ذلك في الاسلوب السهل الممتنع والغامض المشوق احيانا والتكرار لبعض الافكار في صيغ مختلفة، والانتقال من المحسوس الى واجب العلم مع مهارة النورسي في التعليم وخطابه لنفسه وممارسة التعليم في مختلف المدارس والمناطق وحتى في السجن الذي كان يسميه (المدرسة اليوسفية) نسبة الى سيدنا يوسف عليه السلام. كما قدمنا، ويقول النورسي في تقديم الكلمات: «قد خاطبت بها نفسي يوما خطايا مسهبا في ثماني كلمات اخذتها من ثماني آيات كريمات اذكرها الآن لنفسي ذكرا مقتضيا وبلسان العوام فمن يجد في نفسه الرغبة فليلق إلى السمع معنا».(١) وهذه طريقة النورسي اذ كان يقول انه ليس من المهم ان يستوعب كل مهتم كل شئ ولكن حسبه ما يدركه فانك لا تأكل ثمار الحديقة كلها مرة واحدة ولكنك تأكل منها ما يكفيك.

الاعجاز القرآني

وتعتبر كليات رسائل النور تفسيرا عصريا عقليا وروحيا للقرآن الكريم في محاولة بقدر ما وسعها تفسير الالفاظ والتراكيب وطريقة التناول والمعاني والمرامي والحكمة والهدف، فهو ليس تفسيرا لغويا ولا نظما فقط كغيره من التفسيرات التي سبقته، لكنه محاوله صادقة موهوبة ناجعه للوصول الى معرفة الله والايمان به ايمانا حقيقيا كاملاً «وقد اوصى النورسي مقدمة كتابه (إشارات الاعجاز في مظان الايجاز) الذي كان ينوي عندما بدأه ان يكون تفسيرا

(١) مقدمة الكلمات.

كاملا للقرآن ولكنه عدل عن ذلك للتفرغ لكتابة رسائل النور ومتابعة تلاميذه في استنساخها ونشرها ولكنه اوصى بأن تقوم لجنة من العلماء المعاصرين في مختلف التخصصات العلمية في اللغة والفقه والعلوم الحديثة بتفسير القرآن تفسيراً عصريا.(١)

والنورسي محق في ذلك تماما بدليل ان تفسير ﴿ **بلىٰ قادرين على ان نسوّى بنانه** ﴾(القيامة: ٤) في العصور القديمة يختلف عن تفسيرها بعد اكتشاف العلم الحديث هذا القرن لبصمات الاصابع وكيف انها تختلف في كل انسان فرد عن غيره وبذلك تصبح التسوية بينهما عملا معجزا لا يقدر عليه الا الله، وكذلك تفسير ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** ﴾(النساء: ٥٦) في الزمن القديم يختلف مفهومه عن الفهم الحديث للنص وخاصة بعدما اكتشف في هذا القرن ايضا ان مركز الاحساس يقع تحت الجلد مباشرة وبعد تجاوز المنطقة المباشرة للجلد ينعدم الاحساس ولذلك يصبح واضحا كيف ان مرحلة استمرار العذاب والاحساس به تستدعي ان تتغير الجلود كلما احترقت ونضجت.

وعلى هذا فالنورسي ذو رأي صائب فيما ذهب اليه من ضرورة تفسير القرآن على يد لجنة من العلماء المعاصرين المتخصصين في كل وجوه العلم، وقد بلغ النورسي كل ما استطاع في فهم القرآن وتفسيره والاستدلال به لمعرفة حقائق الكون، وسيأتي بعده حتما من يضيف فالقرآن خالد الى الابد وكنوزه لاتفنى، والنورسي نفسه يقول «كلما شاب الزمان... شب القرآن».

«والقرآن الكريم في منظور كليات رسائل النور كما سبقت الاشارة ثلاثة كيانات:

القرآن المقروء والقرآن المشهود (الكون) والقرآن الناطق: هو السنة النبوية الشريفة عن الرسول الكريم قولا وعملا، وتختلف نظرة الرسائل الشمولية للقرآن عن نظرة علماء الكلام الذين يقتصرون على منطق الالفاظ ومعانيها المجردة فهم

(١) مقدمة اشارات الاعجاز في مظان الايجاز.

وان اصابوا فانما مثلهم – كما يقول النورسي – مثل من ينقلون الماء عبر انابيب طويلة تستلزم الكثير من الجهد وتعرض الماء للضياع، بينما التفسير الايماني الذي تنتهجه الرسائل يملك العصى الايمانية التي تفجر الماء في كل زمان ومكان، كما يختلف عن فهم المتصوفين الذين يصلون – اذا نجحوا – الى الالهام الروحي الخاص الذي يقتصر على الواصلين واهل الطريقة ويعزلهم عن الحياة الدنيا التي يزهدون فيها وينشغلون بالاخرة والفيض الالهي على خلاف الرسائل التي تستهدف تربية كافة المسلمين تربية دنيوية واخروية تدفع الى العمل الدائب الدنيوي الصالح ابتغاء رضاء الله وثواب الاخرة.

فالقرآن المقروء والسنة الشريفة تدفعان الانسان الى الايمان والشكر والفكر والعلم والتأمل في الكون (القرآن المشهود) لترسيخ الايمان واستثمار معطيات الطبيعة لصالح الانسان ويقول عن ذلك النورسي «انها المعرفة المستقاة من القرآن الكريم التي تمنح الحضور العقلي والقلبي والروحي الدائم ومع ايمانها بالوجود الدائم والتوحيد المطلق الا انها لاتقضى على الموجودات بالعدم بل تعترف بوجودها ايضا وتنقذها من الاهمال والعبثية، وتستخدمها في سبيل الله سبحانه وتعالى جاعلة من كل شئ مرآة تعكس المعرفة الالهية وتفتح في كل شئ نافذه الى هذه المعرفة».(١)

وقد اتبع النورسي طريق القرآن وحده للوصول الى الله لانه اقرب الطرق الى اثارة الفطرة الانسانية ولانه كتاب الكون الاكبر الذي يجد الانسان فيه حقيقة الحياة وحقيقة وجوده معا في غاية الوضوح وبأدلة في غاية اليقين وان الاعجاز في القرآن بلفظه واسلوبه وجمال وجلال تعابيره ووضوح معناه والروح الالهية القدسية التي تشيع فيه، والقدرة الخارقة على التأثير وتملك النفس والوجدان كان له اثر كبير في وعي تلاميذ مدرسة رسائل النور ومن تاثروا بهم.

لقد حاولت رسائل النور في الضوء الساطع للقرآن الكريم ان تصوغ المسلم الذي فرغ فؤاده من حب الله تعالى وعقله من الاستدلال والنظر واضطرب

---

(١) المكتوبات ص٤٢٥

سلوكه في الاستمتاع بالطيبات صياغة ربانية متكاملة متوازنه تعيد اليه صفاء فطرته وقوة امكانياته حتى يكون بناؤه للحضارة قويا متماسكا موزونا وكل ذلك بالعودة الى قلب القرآن الكريم من خلال تفسير شهودي عصري طابقت فيه بين القرائين الثلاثة التي اشرنا اليها لنتفق حقائق الوحي مثالا وتطبيقا مع حقائق العلم المعاصر، فتكسر الحدود المصطنعة التي وضعت بين علوم الدنيا وعلوم الدين في عصرنا هذا ،وبهذا وضعت الرسائل الانسان في مركزه الحقيقي في الكون وجعلته ثمرة يانعة لنظام الكون الجميل والجليل.

والحديث عن القرآن ومع القرآن يشيع في الرسائل كلها وتتركز الكلمة الخامسة والعشرون في تسليط الضوء على تفاصيل البناء القرآني الذي يؤدي فيه كل حرف وكل كلمة وكل آية وكل سورة رسالة خاصة وتتلاءم هذه الرسالات مع بعضها وتتساوق في دقة ونظام بديع حيث يؤدي كل جزء بل كل جزئ دوره مستقلا بحركته متلائما ومتعاونا مع غيره في سبيل تحقيق الغاية منه، شأنه شأن اجزاء الساعة من عقرب للثواني وعقرب للدقائق وعقرب للساعات وحاسب للايام والتواريخ، تعمل كلها بانتظام لتوضيح الصورة العامة لحركة الزمن بمقاييسه كلها، مثلها مثل حركة الكون الكلية الشاملة التي يوضحها القرآن الكريم بكل ما فيه من جزالة وابداع وفصاحة وبلاغة وبيان تقصر عنه طاقة البشر في كل زمان ومكان.

وتضرب الرسائل الامثال بآيات من القرآن الكريم وتفسرها بدقة بالغة على طريقتها التي تقوم على العلم والفهم والادراك والذوق والحس والشعور والالهام وبما يجاوز الحواس الخمس المعروفة الى الحواس المعنوية كالشوق واللهفة وحب الاستطلاع والرغبة في كشف المستور.

ومن الامثلة التي ساقتها الكلمة الخامسة والعشرون والتي نجتزء بعضها لنبين طريقة الرسائل في التناول في الآية الكريمة ونصها ﴿ **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين** ﴾(الانبياء: ٤٦).. تسوق الرسائل هذه الاية للتدليل على ما في نظم القرآن من جزالة خارقة في اجمل صورها حيث

ترى الكلمات تتعانق في كل جملة بينما ترتبط الجمل بعضها بالبعض الاخر في اتساق بديع بحيث يبدو البناء متكاملا لاتستطيع فيه نقل كلمة من مكانها او احلال كلمة غيرها محلها، يقول النورسي عن «ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك» ما معناه أن هذه الجملة مسوقة لاظهار هول العذاب ليس بتهويل العذاب وتضخيم صورته ولكن باظهار التأثير الشديد لأقله، ومن هذا التأثير الشديد لأقل العذاب ينتقل الادراك الى تصور كيف يمكن أن يكون عليه العذاب الكامل، ولهذا فكل حروف الجملة وكل كلماتها وكل الايحاءات في التركيبات فيها تفيد التقليل والتصغير ثم تنتقل الى اثر هذا العذاب القليل ليكون دليلا الي اثر الهول الكبير وتبدو عظمة القرآن البيانية في رسم الصورة المصغرة للمثل في العذاب المذكور، فلفظ (لئن) يفيد التشكيك والشك يوحي بالقلة، ولفظ (مس) هو اصابة قليلة ولفظ (نفحة) معناه رائحة قليلة وحتى التنوين في لفظ نفحة يفيد التقليل ولفظ (من) للتبعيض بمعنى جزء وهو يفيد القلة ولفظ (عذاب) يعد عقابا خفيفا اذا قورن بالنكال والعقاب ولفظ (ربك) بدلا من القهار والجبار والمنتقم يفيد القلة ايضا لانه يوحي بالاحساس بالشفقة والرحمة.(١)

وهكذا فالتأمل في تركيب الجملة يلاحظ التلاقي الحميم جدا بين الالفاظ والترابط بينها ثم تعاون الالفاظ والكلمات في رسم صورة هينة جدا خفيفة جدا ورقيقة جدا لصورة من صور العذاب، لتصل من طريق هذه الصورة بقوة تأثيرها وعظم الاحساس بالعذاب فيها الى الايحاء والكشف عن ضراوة وقوة العذاب الكامل، وهذا هو هدف التعبير القرآني الذي تحقق باسلوب فني رفيع مبنى ومعنى:

والامثلة كثيرة تلك التي ضربتها الكلمة الخامسة والعشرون ايضا على اعجاز القرآن ودقته ومدى الفنية والبلاغية فيه، ومقدرته على اثارة الوعى الانساني ودفعه الى التعمق والتأمل والتدبر والاستقصاء والوقوف عند الحروف

---

(١) الكلمات ص٤٢٦

والكلمات والغوص وراء معناها والجهد وراء محاولة ادراكها ليستفيد المسلم منها ويتدرب على تقصي الاشياء وتتبعها ومحاولة الاستفادة منها بعد كشف اسرارها.

ومن هذه الامثلة قوله تعالى ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾(البقرة: ٣)، هذه الجملة التي تبدو في ظاهرها من كلمتين اثنتين ولكنها في الحقيقة تحمل معنى كبيرا وقد وضعتها الصياغة القرآنية في هذا التركيب اللغوي المعجز، وهي تصور حالة جماعة المؤمنين بماهم عليه او بمايجب ان يكونوا عليه، وهي تحمل من طابع القرآن الصفة العامة وهي انها تبدو في ظاهرها سهلة ميسورة يدركها كل من يتلقاها ويفهمها ايا كان مستواه الثقافي حتى لو كان اميا، ثم هي بعد ذلك تتدرج في مراحل العطاء حتى اقصى غاياته، وقد سجل الثورسي لها انها تضع للصدقة خمسة شروط لقبولها نشرحها فيما يلي:

الشرط الاول وهو مستفاد من (من) التبعيضية في لفظ (مما) اي ان المطلوب من المتصدق ان يكون حكيما فلا يبسط يده بالصدقة حتى تستغرق كل ماله ويصبح هو في حاجة الى من يتصدق عليه. اي المطلوب منه ان يتصدق بجزء من ماله. الشرط الثاني، المستفاد من لفظ (رزقناهم) اي ان تكون الصدقة من المال الخاص الحلال فلايصح ان تقترض لتتصدق او تسرق لتتصدق او تأخذ من مال الغير – حتى وان يكن برضاه – لتتصدق، فالصدقة لكي تكون صدقة مشروعة يجب ان تكون من مال يملكه الانسان. الشرط الثالث المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) اي ان الصدقة يجب الايتبعها منّ ولا اذى ولا حتى يستشعر صاحبها بشئ من الاستعلاء لانه يتصدق مما رزقه الله، فالله هو الرزاق وهو واهب المال لصاحبه. الدرس الرابع المستفاد من (ينفقون) اي يعطي الصدقة لمن ينفقها على حاجاته الضرورية ولوازم الحياة وليس للسفيه الذي يبددها فيما لاطائل تحته وتكون حينذلك ليست نفقة، فمجال الصدقة عطاء واستهلاكا هي النفقة الحكيمة المطلوبة لصلاح احوال المجتمع الاسلامي. الدرس الخامس مستفاد ايضا من (رزقناهم) اي ان تكون

الصدقة في انتقالها من المتصدق للمتصدق عليه وفي انفاقها يسودها انها عمل عبادي يقصد به وجه الله وتحتضنه روح الشريعة الاسلامية من حب واخاء وسلوك رفيع، وليست تبادل منافع او سبب سيطرة اواعلان لجاه او مدعاة لنفوذ او شراء ذمم، لان المال موضوع الصدقة رزق من الله وانفاقها وسيلة للتراحم والحب الخاص لوجه الله. وهناك معنى يستفاد من (مما) في (مما رزقناهم) اي ان الانفاق يجب ان يكون من نعمة الله ورزقه للناس فليس من الضروري اي يكون مالا فقط بل يمكن التصدق بالعلم والقول النافع والنصيحة التي تجئ نتيجة للعقل الرشيد والتجربة وهي ايضا من رزق الله.(١)

واذا كان النورسي باجتهاده وصل الى استنباط هذه المعانى من هذه الجملة الصغيرة فالامر الذي لاشك فيه انه يحتمل ان يأتي في المستقبل من يستطيع الاضافة في فهم ايات القرآن الكريم كتاب الله للبشرية حتى يوم الدين.

ومن الامثلة الواضحة جدا على بلاغة اسلوب القرآن التي اشار اليها النورسي القول الكريم: ﴿ **يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾(هود: ٤٤)

والحق معه فان بلاغة هذا الاسلوب تأخذ فعلا بالالباب من اي ناحية نظرت اليه فاذا بدأنا بالالفاظ نجد ان هناك تواترا وتناسقا لفظيا وتواليا في الجرس المنطوق حتى ليخيل للمتلقى قارئا او مستمعا ان هناك قطعة موسيقية تعزف بطريقة سماوية فوق ما يستطيعه البشر، ثم اذا انتقلنا الى ايحاءات الالفاظ وتوالي الصور وارتباطها وتنسيق الاسباب والنتائج **فيها يخيل الى المتلقى** قارئا او سامعا ان هناك كيانات هائلة كانت في حركة **دائبة** لاداء **مهمة ثم** تتلقى الامر فتنصاع كلها في ترتيب ونظام ودقة وسرعة فتقف فاعليتها وينقطع اثر نشاطها وتظهر النتيجة وينحسم الامر وتعلن النهاية، وكل هذا الذي يستغرق حدوثه زمنا طويلا وتبقى اثاره وقتا مديدا وتشمل فعالياته ملايين الكائنات الاحياء وغير الاحياء يعبر عنه القرآن ويحيط به وبكل معانيه في جملة واحدة

---

(١) الكلمات ص٤٢٧

ذات جرس جميل وايقاع اخاذ تضع الصورة كاملة امامك وكانك تراها وتحسها وتعيش فيها.

اما الامام النورسي فينظر الى بلاغة هذه الآية من زاوية اخرى فهو على طريقته يتخيل صورة الامر الالهي الى الارض بان تبلع ماءها والى السماء بأن تقلع عن انزال الماء بأن هناك قائداً عسكرياً كان يدير الحرب التي يخوضها جيشه وكل كتيبة وكل فرقة في مكانها تؤدي المهمة المنوطة بها بنجاح مما جعل الحرب تضع اوزارها وتنتهي بانتصار ذلك الجيش فيصدر القائد امره الى كل فرقة بان تكف عن اطلاق ذخائرها لان الانتصار قد تم فتستجيب كل الفرق وينتهي الامر باعلان تفاصيل الانتصار وحصر الغنائم.

ويضيف النورسي من ايحاءات الاية الكريمة ان السماء والارض تعتبران نفسهما من جنود الله وتفخران بانهما اطاعا الامر فور صدوره، وتتعجبان للانسان الذي يجرؤ على عصيان امر الله الجليل الذين تطيعه كل الكائنات ومنها السماء والارض، ويقول لسان حالهما: «ان الذي تمتثل السموات والارض بامره لايعصى ولاينبغي ان يعصى» وهذا يفيد زجرا شديدا رادعا للانسان، والذي ذهب اليه الامام النورسي في ايحاءات الاية الكريمة صحيح ويدل على عظمة القرآن وبلاغته واعجازه ومقدرته على التأثير في وعي الانسان وخاصة اذا اتسعت مداركه وكلما زادت طاقته على الفهم كلما ازداد وعيه وتعمق ايمانه.(١)

ومما يسترعي الانتباه في مجال روعة الاسلوب القرآني ومما اشار اليه ايضا النورسي في ايجاز قوله تعالى ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها** ﴾(يس: ٣٨) وهذا التعبير يفوق بلاغته الادراك لانه يتناول كوكب الشمس لا من حيث الماهية والتكوين كما يتناولها علماء المادة من الجغرافيين ولكن من حيث التناول القراني الذي يهتم بالاثر والوظيفة والحكمة من الوجود واداء الرسالة فيستعمل لفظ (تجري) لكي يشير الى الحركة وليس المهم ان تكون حركة ظاهرة او فعلية

(١) المكتوبات ص٤٣٤

ولكن المهم دلالة اللفظ الشاملة فكلمة (تجري) تفيد الحركة، وتوحي الى الذهن بما ترمي اليه من المعاني الشاملة فهذا الجريان يفيد تعاقب الليل والنهار ويفيد تعاقب الفصول ويلفت النظر الى الحركة الدائبة في الكون الكبير التي تدل على قدرة الخالق وعظمته وحكمته ووحدانيته في السيطرة على الكل وتنظيمه والتحكم فيه على الصورة التي تكفل عمار الكون الى ان يشاء الله.(١)

وكذلك الآية ﴿ **جعل الشمس سراجا** ﴾(نوح: ١٦) فان التعبير يرسم صورة جميلة للشمس على هيئة سراج ومصباح منير، وتؤدي بلاغة الصورة الى ابعاد متعددة اكبر منها اذ انه لكي يؤدي السراج رسالته لابد ان يضئ ما حوله، ولابد ان تكون لهذه الاضاءة هدف ومن هنا تتبادر الى الأذهان صور الكائنات الاخرى الكبيرة والصغيرة التي تحيط بالشمس وبالتالي تصور القدرة الخارقة التي تنظم هذه الكائنات في مجال الكون الكبير وتحدد العلاقة بينها وترسم ايضا طريقة سيرها وتبادل اسباب الحياة والوجود بين بعضها والبعض الاخر، وبهذا ادى التعبير القرآني البلاغي الجميل الى لفت الوعي الانساني الى وجود الله خالق الكون وعظمته والى حسن تدبيره وكمال ذاته وصفاته ويقول النورسي في هذا المجال: « ان القرآن لايبحث في الشمس لذات الشمس بل لمن نورها وجعلها سراجا، ولايبحث في ماهيتها التي لايحتاجها الانسان بل في وظيفتها اذ هي تؤدي وظيفة نابض (زنبرك) لانتظام الصنعة الربانية ومركز لانتظام الخلقة الربانية ومكوك لانتظام الصبغة الربانية في الاشياء التي ينسجها المصور الازلي بخيوط الليل والنهار. »(٢) ومن امثلة الاعجاز البلاغي في القران في مجال الذم والزجز الاية الكريمة: ﴿ **ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** ﴾(الحجرات: ١٢) وهذه الاية تنهى عن الغيبة من ستة وجوه فهي تستعمل الاستفهام الانكاري لتزيد من فعالية الزجر والنهى، وهي في كلمة يحب تخاطب القلب وهو محل العاطفة لتثيرها، وهي تستعمل كلمة احدكم

---

(١) الكلمات ص٢٦٧ الكلمة التاسعة عشرة.

(٢) الكلمات ص٤٣٦ الكلمة الخامسة والعشرون.

لتستثير الروح الجماعية وحب الانسان لمجتمعه، وهي تورد (ان يأكل لحم) لتشير الى بشاعة العمل، وهي تذكر كلمة (اخيه) لتشير الى ضرورة التراحم بين بني الانسان وبشاعة الخروج عليه، وهكذا جاء التعبير معجزاً شاملا محيطا مؤديا الغاية منه مثيراً للوعي الانساني ومؤثرا فيه، وناهيا له عن الغيبة بعد ان صورها في صورة بشعة منفرة من كل الوجوه، كل ذلك في ايجاز والفاظ منتقاه واسلوب وان كان فيه قسوة الزجر ففيه ايضا رقة العتاب مع نفاذه وتأثيره العميق في النفس، ويلاحظ انه بدلا من التلويح بعذاب الاخرة اورد النص صورة دنيوية تكفي لمن يتدبرها ان يكف عن الغيبة ويقول النورسي عن الاية: «يفهم من هذه الاية الكريمة ان الغيبة مذمومة عقلا وقلبا وانسانية ووجدانا وفطرة وملة»(١)

ومن الامثلة على البيان القرآني المعجز وهو يوجه الخطاب الالهي الى الانسان ليلفته ويوقظه ويدفعه الى التأمل واعمال الفكر بعد الرؤية ومحاولة الفهم والمقارنة واستنباط الاحكام قوله تعالى ﴿**فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير**﴾(الروم: ٥٠) فالذي يلفت النظر انه بعد الامر بالنظر تاتي «الى اثار رحمة الله» فتضفى كلمة الرحمة السكينة على قلب المخاطب فيتأمل في عملية احياء الارض بعد موتها ليسلمه التأمل الى الحكم الجازم القاطع بنتيجة التأمل، وهو الصعود على سلم المقارنة الى مرتبة اليقين بان الله قادر على كل شئ... والدليل الظاهر يسلم حتما الى صدق الغيب ويلاحظ ان التعبير القرآني في حكمته ودقته وايجازه وفنيته وموسيقاه وعمق تأثيره في النفس معجز غاية الاعجاز، فاذا ما انتقلنا الى التوجيه بالنظر في كيفية احياء الارض بعد موتها التي تتمثل في تجلى الله على الارض كلما حل موسم الربيع فتنشط كل جنبات الارض وتنهض الالاف المؤلفة من مخلوقات الله من نباتات وزروع وزهور واغصان واوراق مختلفة الاشكال والاحجام والصور والالوان في وقت واحد

(١) الكلمات ص٤٤٠ الكلمة الخامسة والعشرون.

بعد سكونها في فصل الشتاء، فتملأ كل الاجواء حياة وحركة ، ان الذي يتأمل في هذا لابد ان يدرك ان وراء هذا الفعل الكبير قدرة كبيرة تستطيع هذا الاتقان المنظم الذي يبعث هذه الحياة بدقة ونظام وحكمة وانضباط لايمكن ان يناله فتور او اضطراب نظام وإلا اختلطت الكائنات بعضها بالبعض الاخر واختل نظام الحياة وتعرضت للفناء. ثم الاستدلال اليقيني بذلك على احياء الموتى. »(١)

وشرح القرآن الكريم في آية اخرى من سورة (ق) كيفية التأمل في خلق الله وجوانب هذا الخلق وسر العظمة والمقدرة والوحدانية فيه فيقول جل وعلا: **﴿ افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾**(ق: ٦-١١)

وتأخذ الاية الكريمة بيد الناس لتريهم بعض مشاهد جوانب الكون الكبير وترشدهم الى ما فيها من عظمة وابداع وجمال وجلال، وتجمع في بعض جمل قصيرة مشاهد الكون في اغلبها ممثلة في نماذج منها، وفي سياق معجز حقا يجمع بين جمال اللفظ والاسلوب وجمال الصورة والمنظر وجمال المعنى المقصود وائتلاف كل هذه العناصر لتعطى الاثر المطلوب، ويكون الاعجاز القرآني وسيلة لاثارة الوعى الإنساني، ويقول النورسي عن بلاغة هذه الاية الكريمة « ان هذا البيان يسيل كالماء الرقراق ويسطع كالنجوم الزاهرة وهو يطعم القلب ويغذيه بغذاء حلو طيب كالرطب فيكون غذاء ويكون لذة في الوقت نفسه ».(٢)

ويقول النورسي عن القرآن الكريم مامعناه انه لجماله وجلاله وحكمة الله فيه

---

(١) الكلمات ص٤٤١ الكلمة الخامسة والعشرون.

(٢) الكلمات ص٤٤١ الكلمة الخامسة والعشرون.

انه يفهمه البشر كل بقدر استطاعته، فيجد فيه محدود الادراك ما يشبعه ويجد فيه واسع الادراك مايشتهيه ويرضى طموحه، وفيه ما هو فوق ذلك. ويسوق النورسي حكاية الاعرابي الذي سمع ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ فسجد فقيل له: أسلمت؟ فقال لا ولكن اسجد لبلاغة الكلام، فالقرآن يوضح ان الانسان هو الكون مصغرا وان الكون هو الانسان مكبرا، ،ان الله هو غاية المنتهى فوجود الانسان نسبى والوجود المطلق هو الله ووجود الكون وجود نسبي والوجود المطلق هو الله، وان تأمل الانسان في دقائق الكون يهديه الى الطريق الى الله. ويصف النورسي القرآن فيقول: هو الترجمة الازلية لكتاب الكائنات الكبير ومفسر كتاب عالم الغيب والشهادة وهو كشاف لخفيات الكنوز المعنوية للاسماء الالهية المستترة في صحائف السماوات والارض، وهو شمس عالم الاسلام المعنوي واساسه وهندسته، وهو للانسان كتاب شريعة وكتاب حكمة وكتاب دعاء وعبودية، وكتاب امر ودعوة وكتاب ذكر وكتاب فكر، ويطلق عليه دوما ما يستحقه من اسم وهو (كلام الله).(١)

ويقف النورسي وهو الموهوب مبهورا امام مباحث القرآن وشمولها واحاطتها ويحدث نفسه ويقول لتلاميذه ومريديه « ان هذه المباحث الكلية لاحد لها فيما يخص الانسان ووظيفته والكون وغايته وخالقه والارض والسموات والدنيا والاخرة والماضى والمستقبل والازل والابد ابتداء من خلق الانسان من النطفة الى دخوله القبر ومن آداب الاكل والنوم الى مباحث القضاء والقدر ومن خلق العالم في ستة ايام الى وظائف هبوب الريح التي يشير اليها القسم في (والمرسلات) و(الذاريات) ومن مداخلته سبحانه في قلب الانسان ﴿ **يحول دون المرء وقلبه** ﴾(الانفال: ٢٤) الى ﴿ **والسموات مطويات بيمينه** ﴾(الزمر: ٦٧)

والقرآن الكريم يأخذ بيد الانسان ويهزه ويوقظ وعيه ويلفته ويبشره وينذره في ستة الاف وستمائة وستاً وستين اية كريمة يضرب له الامثال ويحكى قصص

---

(١) اشارات الاعجاز في مظان الايجاز ص٢٢

الانبياء ومسيرة البشرية التي سبقته كل ذلك في الاسلوب الرائع الذي سبقت الاشارة اليه ولايمكن ان يتسع هذا المجال الا الى اشارة عابرة سريعة تحاول الكشف عن كيفية دفع القرآن الانسان الى السعي في الارض واستثمارها ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾(الملك: ١٥) وكيف يهز قلب الانسان ووجدانه ويدفعه الى امعان النظر والتأمل ولا يكتفي بالنظرة العابرة فيقول ﴿ **افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾وهذا معناه الا يكتفي الانسان بالنظرة المجردة ورؤية العين للصور الظاهرة بل يجب ان يتعمق ويتأمل ويتدبر ويدقق فيما حوله ليعرف ماوراء الوجه الظاهر ما امكن.

ويلفت القرآن الانسان الى بدائع الكون وما فيه من اجواء سماوية عالية تسبح بحمد الله ﴿ **ولكن لاتفقهون تسبيحهم** ﴾ فقد يكون التسبيح ان تؤدي هذه الاجرام رسالتها في بنيان الكون الكبير وقد يكون تسبيح كوكب الارض فيما تحمله من نباتات مزهرة مثمرة تسبح بدورها في اداء رسالتها بما تضفيه من منظر خلاب وما تعطيه من ثمرة شهية وفي تحقيق تطورها وهي تنبت من بذرة ضئيلة ثم تصبح اشجارا باسقة ظليلة تعطي الثمر مختلفا الوانه ثم تتساقط اوراقها في كل خريف لترجع ازهارها في كل ربيع ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * الا تطغوا في الميزان * واقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان * والارض وضعها للانام * فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام * والحب ذو العصف والريحان** ﴾

كما يدعو القران الانسان الى النظر والتأمل في اعماق نفسه وفي تكوين اعضائه فيقول ﴿ **وفي انفسكم** ﴾ فيرى ويتأمل كيف تدب فيه الحياة اي كيف تنشأ وتتطور خطوة خطوة وكيف تبلغ مداها ثم تنتهي ثم يبعثها الله يوم القيامة، كل ذلك في دقة ونظام واسلوب دقيق محسوب بحكمة بالغة ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم**

خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين * ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾(المؤمنون: ١٢-١٥) ثم ينظر الانسان ويدقق في نفسه وحواسه ليتأمل كيف اودع الله الابصار في العين والسمع في الاذن والاحساس في الشعور والادراك في العقل والمقدرة على السعى، وكيف يسري الطعام في الجسد اي كيف يهضم ويتمثل حتى يصير دما يغذي الجسم بعد ان تؤدى الاعضاء المختلفة وظائفها كلها في دقة ونظام لم يدرك العلم الحديث والطب المتقدم حتى الان ادق اسرار الجسم البشري من خلايا واعصاب وقدرات وطاقات، وحسبنا ان نعلم ان العين الذي لايتجاوز حجمها بضعة سنتيمترات تقوم على مايزيد على مليون عصب كل منها منفصل عن الاخر، ثم ان هذا الانسان يعيش في كون كبير قائم على صنعة بارعة وقدره متناهية ثم ابداعها بما هو فوق التصور ومما يشرحه القران الكريم في هذا المجال ﴿ **اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي افلا يؤمنون * وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون * وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون** ﴾(الانبياء: ٣٠-٣٣) وتحار النظرة التأملية امام الروعة الهائلة في قيام هذا الكون الكبير بنظامه ودقته في وحدة كلية متناسقة جزئيا وجماعيا فكل جزء فيه قائم بذاته متصل بغيره متوافق معه دون ادنى اختلال، فكل كائن له وضعه ونظامه وكل حي له رزقه ووسائل بقائه والمحافظة على نوعه وآداء رسالته حتى الصغير الذي لاحول له ولاقوة تتفجر عاطفة الامومة والابوة في نوعه ايا كان هذا النوع من الحشرات الصغيرة حتى الضوارى والاسود الكاسرة لتوفر هذه العاطفة الامان والغذاء للكائن الصغير حتى يشتد عوده ويواجه الحياة.

ثم يأتي الانسان وهو كائن صغير اذا قورن بالاجرام الكبيرة والوحوش الضارية ولكنه زود بالعقل الذي يجب ان ينميه بالعلم ويملك الوعى والادراك

والتمييز بين الخير والشر والارادة الحرة العاقلة ولذلك خلق على احسن صورة وحمل امانة الحياة وكان خليفة فيها.

أدلة الوجود والتوحيد

وتتساءل الرسائل تساؤل العارفين: ألا تدل كل الشواهد والظواهر والتنظيمات الظاهرة والخفية في الكون على أن وراء هذا الكون الكبير قوة كبرى لاحد لها تستطيع ان توجد ذلك كله وان تنظم كله وان تتعهد ذلك كله؟ الا يمكن الاستدلال بهذا على وجود الله؟ ثم الا يدل هذا التناسق والتناغم والاتفاق وعدم الشذوذ او الخروج على النظام قيد انملة مما يؤدي الى التناقض فالتصادم ففناء العالم كله، والا يدل تشابه كل نوع مهما تعددت افراده واختلاف الانواع بعضها مع البعض الاخر ثم قيام ذلك كله في اطار وحدة كلية منظمة متناغمه لاشذوذ فيها ولا التواء.. الا يدل ذلك كله على ان القوة الخالقة المسيطرة المسيرة قوة واحدة؟ والا يستدل من ذلك على وجود الخالق الواحد محتم الوجود والوحدانية... ﴿ **لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا** ﴾(الأنبياء: ٢٢) ثم الا تدرك الاذهان ان حياة الانسان والكون بكل ما فيها من دقائق وتفصيلات مذهلة لايمكن ان تنتهي كلها ويذهب اثرها بموت الانسان وانتهاء الحياة الدنيا وكأنها لم تكن... وان الادنى الى المنطق والمعقول ان هناك حياة اخرى سرمدية ابدية خالدة تدوم وينعم فيها من عرف الايمان واداه عقيده وعملا صالحا ملتزما بالشريعة، ويعاقب فيها من خان الامانة ولم يدرك حلاوة اليقين ولم يعرف العمل الصالح؟

ثم هل من المعقول ان يترك الانسان بفطرته وطبيعته وعفويته وادراكه المحدود دون ان يرسل الله له بشرا رسولا بكتاب الهي يرشده الى الطريق السوى ويحاول ان يكشف امامه مغاليق الكون ويريه الطريق الى الله ويبين له اصول الحياة حتى يميز الخبيث من الطيب ويعرف الفرق بين (الحلال والحرام) ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾.

ومن هنا يتحتم الايمان بالله الواحد ورسوله الكريم باليوم الاخر والغيب والبعث والجنة والنار بعد ان اضاء القرآن الكريم الطريق الى حقائق الايمان واسس العقائد.

وتتجلى عظمة القرآن حين يأخذ بيد الانسان ليوصله الى اليقين ويشرح له تفاصيل خلق الناس والكون في حلاوة وطلاوة وسحر وجمال وايجاز بلفظ جميل منغم ياخذ بالالباب ويملأ القلوب ويلفت العقول ويوقظ المشاعر – كما تقدمت اكثر من اشارة – ونضيف مثالا اخر في قوله عز وجل ﴿ **يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا * وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور** ﴾(الحج: ٥-٧)

فيا لروعة القرآن حين يربط بين الحياة في تراب الانسان ثم يتتبعه نطفه فعلقه فمضغة مخلقة وغير مخلقة ثم خلق الجنين ورعايته حتى يخرج طفلا ثم متابعته حتى يكبر ويتوفى او يعمر، ويربط بين هذا وبين بث الحياة في الارض حين ينزل عليها الماء فتهتز البذور وتنمو وتنبت الاشجار والازهار والاثمار البهيجة الجميلة المفيدة التي تضمن رزق الانسان والحيوان. ويا روعته حين يسجل بعد ذلك النتيجة المنطقية الواضحة القاطعة بان الله هو الحق الذي يحيي الموتى وليس هذا فقط بل ان الآخرة آتية وانه سبحانه قدير على ان يحيي الموتى، وهكذا تتضح القضية بابعادها كلها ناصعة جلية للابصار.

ومعنى هذا ان القرآن يعرض الكون وكأنه كله نسيج منقوش بعلامات وصور جميلة تنطق بوجود الخالق ووحدانيته ويتآلف كل ما فيها من جمال يبهر الافكار وسحر يسيطر على القلوب ومعنى يلفت العقول ليضع صورة

متكاملة مظهريا وجوهريا، ويتركز كل هذا الجمال والجلال ليكون تأثيرا فعالا في اثبات قضية الوجود والوحدانية لله عز وجل اثباتا يبلغ مرتبة اليقين، فالمؤمن القرآني يرى الله في كل شئ ويدرك العلامات الدالة المثبتة لذلك في كل الكائنات بوجودها وفاعليتها وتفاعلها مع غيرها واداء رسالتها في الكون وتلك هي صبغة الله.

محمد رسول الله ﷺ

اذا كان القرآن الكريم هو معجزة محمد ﷺ فان محمدا عليه الصلاة والسلام هو معجزة القرآن وأن مهمة رسائل النور هي اثبات أستاذية القرآن في الكون كله وان تلاميذ القرآن هم اساتذة الدنيا في التمسك بالعقائد الصحيحة والشرائع الحكيمة والروحية العالية والاخلاق السامية والسلوك الرباني المستقيم وبذلك تعود للمسلم ثقته بنفسه واعتزازه باستاذيته فيقود ولايقاد ولايستجيب لمغريات الحضارة المادية والالحاد، بل يعيد دور الحضارة المثالية الكامل في هذه الدنيا وينقذ البشرية بفضل مبادئه الربانية من الانحراف فان كل موجود في هذه الدنيا حرف ضائع لا معنى له مالم يعطه اسم (الله) الاعظم معناه بالانتساب اليه، ويسبغ عليه مغزاه بقدر ارتباطه به وفهمه له واذا ما وصل الانسان الى ادراك هذا حقيقة فقد وصل الى التوحيد الخالص وتشرب جوهر الايمان والاسلام وعرف جدوى الوجود ومعناه.

ولم يكن ليفوت رسائل النور وهي تحاول ان تدخل الايمان الشامل اعماق النفوس ان تسلط الاضواء على شخصية الرسول الكريم محمد بن عبدالله ﷺ فهو حامل القران المقروء، وهو نفسه القرآن الناطق باقواله وافعاله ومعجزاته وسنته وصحابته وآل بيته وتلاميذه المخلصين الى يوم الدين، وهو الواسطة بين الله والناس وهو بطبيعته البشرية يوحى اليه فقد اختاره الله بشرا رسولا ليعيش حياة الناس ويتحرك بينهم مثلهم وتكون اقواله وافعاله سنة تقلد ويتعودها الناس وقدوة تحتذى ويتبعها الناس وقد افاضت الرسائل في ذكر صفاته

ومعجزاته وحياته ومناقبه في المكتوبين التاسع عشر(١) والرابع والعشرين(٢) وفي اللمعتين الرابعة(٣) والحادية عشرة(٤)وفي الشعاع السابع(٥) والكلمتين الثانية عشرة(٦) والتاسعة عشرة(٧) على سبيل المثال لا الحصر.

ولم تكن مهمة الرسائل ايراد سيرة الرسول وتفاصيل حياته ولكنها ركزت على نواحي شخصيته وحكمة بعثته وبيان صفاته ومعجزاته لتجعل ما تصل اليه من مدركات حول شخصيته اكرم خلق الله عاملا فعالا في تمكين الايمان من نفوس الناس، وتجعل من شخصيته الفريده المباركة ﷺ قدوة يحبها الناس ويحبون تقليدها واداء سنتها « من اتخذ السنة عادة له جعل عاداته عبادة فتصبح كل دقائق عمره ثمرة لهذه العبادة ».(٨)

والرسائل جريا على سنتها تخاطب العقل والروح وتستعمل المنطق والايحاء وتقدم الدليل وتلجأ الى مكنونات المشاعر فهي تفسر قوله تعالى ﴿ **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم** ﴾(التوبة: ١٢٨) كما تفسر ﴿ **ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾(آل عمران: ٣١) مما يؤكد قدر الرسول ومكانته كاشرف خلق الله ويدعم ارتباط الايمان بالله بالايمان به.

وتوحي الرسائل ان حب الله وحب الرسول يتمثل في اتباع السنة والعمل بها ولكي لاتشق على الناس ولكي تغريهم بالعمل بالسنة تدريجيا حتى تتمكن من نفوسهم جاء فيها « قد لا يتيسر اتباع كل نوع من انواع السنة الشريفة اتباعا

---

(١) المكتوبات ص١١١ وما بعدها
(٢) المكتوبات ص٣٩١
(٣) اللمعات ص٢٨
٤) اللمعات ص٨٠
(٥) الشعاعات ص١٦٦-١٧٨
(٦) الكلمات ص١٤٩
(٧) الكلمات ص٢٥٤ وما بعدها
(٨) اللمعات ص٨١

فعليا كاملا الا لاخص الخواص ولكن يمكن لكل واحد الاتباع عن طريق النية والقصد والرغبة في الالتزام والقبول والبدء بالممكن.

وكمادة الرسائل في اثارة المشاعر وايقاظ الوجدان تدور باسلوب اخاذ والفاظ براقة في مجالات متعددة لاثبات مكانة الرسول الكريم وموقفه من الكون وموقف الكون منه سابحة في بحار من الخيال الجميل فهي تخاطب في الخيال وتحاور وتسأل الكيانات الكبيرة والاجرام السماوية الهائلة والنجوم والكواكب والشهب والبحار والمحيطات كما تسأل الكواسر والهوام وكذلك النباتات والاشجار والغصون والاوراق والازهار والثمار لتثبت فيما يشبه المنطق الجازم ان اجاباتها جميعا الاعتراف بالرسالة المحمدية الخاتمة وتعود فتقدم دليلا ثبوتيا قاطعا حين تسجل اعتراف جميع الانبياء والمرسلين قبل البعثة بها والتنبوء بقيامها وكذلك ايمان وتصديق جميع الصحابة وآل البيت ونسلهم والعلماء والمحدثين والمفسرين والمتصوفين فضلا عن ملايين المسلمين في مشارق اقطار الارض ومغاربها ثم تضيف الى ذلك كله شهادة العلماء والباحثين الاجانب البعيدين عن الامة الاسلامية.(١)

وفي هذا المجال تضرب مثلا (بتوماس كارليل) وغيره وتعرض نماذج من اقوال (برناردشو) منها: «لقد كان دين محمد ﷺ موضع تقديري السامي دائما لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة وارى واجبا ان يدعى محمد منقذ الانسانية(٢) كما تعرض الرسائل ايضا فقرة من خطاب الاستاذ (شبول) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ جاء فيها «ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ اليها اذ انه رغم اميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون نحن الاوربيين اسعد ما نكون لو وصلنا الى قيمته بعد الفي عام».

ومن هذا تتضح ابعاد محاولات الرسائل النورانية التاثير في الوعي بتسليط

---

(١) المكتوبات ص٢٨٣، ٢٨٤

(٢) المكتوبات ٢٧٩ الحاشية

الاضواء على شخصية الرسول الكريم من زوايا مختلفة وباساليب متعددة تخاطب العقل والفكر والقلب والعاطفة والوجدان لتجعله ﷺ في نفوس المسلمين عنصرا ثابتا من عناصر الايمان الكامل واليقين الذي لاشك فيه.

وبديهي ان رسائل النور وهي تسلط الاضواء على حياة الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام لم يكن القصد ان تورد جانبا من السيرة المحمدية بقدر ما كان القصد ان تدعم ايمان المتلقين بالبراهين الصادقة على الدعوة المحمدية وعلى الدور الرئيسي لها كدعوة دينية ناجحة خاتمة وعلى دور النبي الكريم في حمل الرسالة وآداء الامانة، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تخدم الهدف الرئيسى للرسائل وهو تربية الانسان المسلم ودفعه الى ان يكون نموذجا اسلاميا رفيعا يقود الحياة الدنيا لتكون طريقا سويا ناجحا لخير الحياة الاخرى، ويتركز نشاطه اساسا في العمل المؤمن الموفق الصالح متأسيا ومقلدا وتابعا للنهج المحمدي والسنة الشريفة، ولذلك ركزت الرسائل على تسليط الاضواء على شخصية الرسول الكريم من جوانبها المختلفة في محاولة لكشف ما يخفى منها على المتلقى العادي، وبذلت في ذلك المجال جهدا كبيرا معتمدة على انه كلما ابرزت مناقب الرسول وعرضت صفاته وقدراته ومعجزاته كلما مكنت لحبه في اعماق الناس وكلما زاد هذا الحب كلما زاد الناس في اقبالهم على السنة الشريفة والتفاني في العمل بها ويكون ذلك تحقيقا لاهم اهداف الرسائل النورانية. والرسائل في هذا المجال اقتربت من التصوف اقترابا شديدا بل كادت ان تتجاوز المبالغين فيه.

ومن هذا المنطق عرضت رسائل النور للمعجزات النبوية باستفاضة فبالرغم من انها ذكرتها في اكثر من موضع في الكلمات والشعاعات الا انها افردت لها في المكتوبات بابا كاملا تحت عنوان «المعجزات الاحمدية» استغرق حوالى ١٧٥ صفحة من ١١٣-٢٨٥ واتخذ النورسي نهجا مختلفا عما اتفق عليه غالبية كتاب السيرة المحمدية اذ ان الفكرة العامة السائدة عندهم هي ان القرآن الكريم كان ويظل معجزة النبي ﷺ الكبرى التي تجاوز ما غيرها من معجزات

ولذلك لم تنل المعجزات الاخرى على وجودها وكثرتها الاهتمام الذي اعطاه لها النورسي ولعل علة ذلك كما قدمنا ترجع الى ان النورسي كان يقصد الى التمكين لشخصية الرسول الكريم ﷺ من نفوس الناس بتكرار مظاهر عناية الله به وتزكيته له عن طريق المعجزات.

وبالمناسبة فان للنورسي رأيا يتعلق بمعجزات الرسل الكرام وهو رأى اجتهادي لا اعتقد ان احدا سبقه فيه اذ ان معجزات الانبياء كانت خرقا لطبيعة الحياة في زمانهم لتقنع الناس بان الله سبحانه وتعالى يزكى الرسول ويؤيده، ولكن النورسي ينظر الى المعجزات من ناحية اخرى ايضا، اذ انها كانت خرقا لنواميس ونظم ووسائل الحياة وقت وقوعها ولكنها - كما يرى النورسي - كانت امام الناس كشفا جديدا ونموذجا لما يمكن ان تصله الحياة في المستقبل عن طريق العلم ولعل فيها مشيرا لخيال الناس وتوقعاتهم وتفكيرهم فيما يجب ان تكون عليه الحياة ولذلك كانت معجزة سيدنا عيسى في ابراء الاكمه والابرص دافعا الى تقدم علم الطب والنجاح في اكتشاف علاج مختلف الامراض وكانت معجزة سيدنا ابراهيم في النجاة من النار دافعا الى اختراع اقمشه لا تحترق في النار وهكذا مع بقية الانبياء.

ويكاد يعتذر النورسي وهو يقدم رسالة «المعجزات الاحمدية» لطولها الذي يعترف به ويعجب له حيث انه املاها وهو في الجبل ولم يكن لديه مراجع رغم كثرة الاستشهاد بالاحاديث النبوية الشريفة **فهي كلها من الذاكرة** ثم تتملكه روح الصوفية فيقول ان مستنسخها **لايمل** من استنساخها مهما استنسخ منها، ومداومة القراءة فيها لاتذهب بحلاوتها رغم **طولها مما** يوحى بان هذه الرسالة واحدة من كرامات تلك المعجزات.

والنورسي كعادته يمزج العقل بالروح والعلم بالغيبيات والالهام بالفكر، ولذلك يتحدث عن المعجزات فيقدم لها بالشرح المنطقى الذي يهيئ ذهن المتلقى الكامل، وهو لايقف موقف المتصادم مع المدارس المختلفة والاراء المتعددة ولكنه يسايرها حتى يصل في هدوء الى الارض المشتركة بينها، التي

غالبا ما تكون اقرب الى مدرسته وقاعدته التي يبنى عليها انطلاقاته، التي يعتقد انها حق وتتماشى مع هدفه التربوي في رسائل النور، التي كان من اهدافها حل المشاكل وتربية الوجدان في سلام بدلا من الانشغال باثارة المشاكل.

فهو يقرر ان معجزة النبي الكريم ﷺ الكبرى هي القرآن الكريم لاشك في ذلك ولكن هناك معجزات اخرى يقول عنها انها نحو الف معجزة، يرجع في ثبوت وقوعها الى صحيح البخاري ومسلم، ويقول ان الكفار لم ينكروا وقوع المعجزات بدليل انهم اتهموا النبي ﷺ بالسحر وهذا اقرار منهم بوقوع الاعمال الخارقة (المعجزات) وهو يقسم هذه المعجزات الى ارهاصات قبل النبوة والى دلائل بعدها والى وقائع اشترك الرسول الكريم ﷺ فيها او اقوال وتنبوءات قالها او احداث وقعت لكائنات في اماكن متعددة.

وهو يشرح للمتلقين جوانب شخصية الرسول ﷺ بابعادها المختلفة حتى تتضح الصورة امامهم ويتقبلون الحديث اليهم عن وعى وبصيرة، فقد بعث ﷺ بشرا رسولا طبيعته انه انسان يعايش الناس ويخالطهم ويحيا حياتهم فيستمعون اليه ويفهمون منه ويعملون اعماله وهذه هي طريقة اداء الرسالة، ولكنه يأتي بعض الاعمال الخارقة ليؤكد صدق رسالته وصلته بالله ولا يمكن ان تستمر كل اعماله خارقه والا انعزل عن المجتمع ولم يعد بشرا كما اراد الله له ان يكون اما كونه بشرا رسولا فهو يوحى اليه وحيا صريحا ينقله بنصه وفصه وهو القرآن الكريم وبعض الاحاديث القدسية كما يوحى اليه وحيا ضمنيا وهو الذي يستند في خلاصته ومجمله الى الوحى والالهام الا انه في تفصيله وتصويره يعود الى شخصية الرسول ﷺ وقدراته ومايتمتع به من قوى وخصائص بشرية في نطاق ظروف البيئة.

ولاستناد النورسي في المعجزات غالبا الى الاحاديث النبوية الشريفة فهو يدعم هذا السند للقارئ حتى يحوز ثقته بتقرير ان هذه الاحاديث ثابته بالتواتر الصريح او المعنوى او السكوتي او الاحادي الذي يثبته المحققون الثقاة الذين

يقول في وصفهم اصحاب الصحاح الستة وفي مقدمتهم البخاري ومسلم وهو الحفاظ الجهابذة الذين كانوا يحفظون ما لايقل عن مائة الف حديث وغيرهم من العلماء المتقين ممن يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء زهاء خمسين سنة من عمرهم.(١)

ويحس النورسي انه بافراطه في الحديث عن المعجزات النبوية يتجاوز ما تواضع عليه الرواة للسيرة من العناية بالحديث عن تفاصيل الشريعة اكثر من المعجزات ويبرر عملهم هذا بالقول بان المعجزات لم تنقل باهتمام بالغ مثلما نقلت الاحكام الشرعية لان معظم الناس في اغلب اوقاتهم محتاجون حاجة ماسة الى الاحكام الشرعية فهي (كفروض عين) لهم، لما لها من علاقة بكل شخص بينما المعجزات لا يحتاجها كل انسان كل حين فهي (كفروض كفاية) ولكنه يبرر الافاضة في ذكر المعجزات وما يرتبط بها بانها ضرورة لتسليط الاضواء على جوانب شخصية الرسول المبهرة حيث ان السيرة المجردة والشريعة تسلطان الاضواء على الجانب البشري فقط من الشخصية وهذا لايكفى اذ ان للشخصية ابعادها الروحية ومكانتها السامية المقدسة والدرجة الرفيعة جدا التي تعجز السيرة وحدها عن الاحاطة بها.

ويناقش النورسي مسألة الغيب والحكمة فيه وكيف ان الله جل وعلا جعله من اهم عناصر تكييف الحياة الدنيا كما ارادها الله، فلولا هذا الغيب لاضطربت احوال الناس وفسدت علاقتهم بالحياة، فكيف نتصور ان يمارس انسان حياته المعتادة وهو يعلم ماذا سيحدث له غدا، ويعلم موعد موته ونهاية أجله، ان الحكمة الالهية التي اقتضت للحياة الدنيا وللانسان ان يعيش هكذا فيها جعلت الغيب عنصرا مهما من عناصر استواء هذه الحياة .يقول النورسي: مادام الولى في الناس، وساعة الاجابة في الجمعة، وليلة القدر في رمضان والاجل في العمر مجهولا.. ستظل لسائر الافراد قيمتها.

ولكن الله سبحانه وتعالى بما اقتضت ارادته العلية اتاح للنبي ﷺ بما يندرج

---

(١) المكتوبات ص١٢٠

تحت المعجزات قدرا من هذا الغيب ساقه الرسول الكريم في حينه بما قد يؤدي الى علم الناس به ولكنه العلم الذي يكشف عن معجزة النبي ولكن لايغير مجريات الحياة ولايؤثر في سيرها القدري المعلوم المقدر المحدود ويضرب النورسي في هذا المجال مثلا بالاحاديث التي تنبئ عن احداث مستقبلية ومنها الحديث النبوي الى سيدنا الحسن بن علي وهو طفل: (ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين) وقد صدق الحديث، والحديث الى زوجاته عليه الصلاة والسلام (كيف باحداكن ينبح عليها كلاب الحوأب) وقد صدق الحديث... الخ.

هذا الى ما وعد به الرسول ﷺ اصحابه قبل وقوعه وقد وقع مثل الظهور على الاعداء وفتح مكه وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وقسمة كنوز كسرى وقيصر وغيرها.

ويخلص النورسي الى ان صدق هذه التنبؤات لايمكن ان يسند الى فراسة او عبقرية ولكنها المعجزة والعناية الالهية.

ويشير النورسي الى طبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية أيام الرسول الكريم وكيف انها كانت تشكو من القلة في الماء والتعرض للقحط والضيق في الغذاء، ثم يعرض ستة عشر مثالا من انواع معجزات البركة التي قام بها الرسول الكريم ﷺ من قيامه بمس ضرع شاة عجفاء فتدر، ومن قيامه بوضع يده في إناء فتنفجر ماء، ومن قيامه بمباركة طعام فيأكل مما فيه مئات من الناس.. الخ ويحكى النورسى الواقعة باسانيدها ويدعمها بالاحاديث الصحيحة ويورد سبع وقائع محققة لتوفير الماء عند الحاجة الشديدة كما حدث في يوم الحديبية ويوم الزوراء وغزوة الخندق وغزوة بواط وغزوة تبوك ومسيرة الامداد لاهل مؤته وفي جيش العسرة وفي ذى المجاز. ويقول النورسي ان هناك عددا كبيرا من معجزات الرسول تقوم على محادثة ﷺ للاشجار وأمره لها وانقيادها لطاعته، وقد جاءت الشهادة متواترة تواترا صريحا فقد رويت من قبل صحابة كرام صادقين معروفين امثال على وابن عباس وابن مسعود وجابر وانس بن مالك

وأسامة بن زيد وغيرهم ويورد ثماني وقائع منها مفصلة ويؤكد صدقها بمعجزة حنين الجذع الشهيرة والمنقولة نقلا متواترا والجذع فرع من الشجر وتتلخص الواقعة في ان مسجد النبي ﷺ كان مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه سمع لهذا الجذع صوت كصوت العشار وهو يئن ويبكى حتى جاءه النبي ﷺ ووضع يده عليه وتكلم معه وعزاه وسلاه فسكت الجذع، ومعجزة حنين الجذع مشهورة ومنتشرة والخبر بها من المتواتر الصريح فقد رواها مئات من ائمة التابعين من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ويتحدث النورسي عن معجزات تسبيح الحصى في يد الرسول ﷺ ورميه الحصى في الوجوه في غزوة بدر وفي ليلة الهجرة وفي غزوة حنين وشفائه للمرضى وحديثه مع الجمل، وحديث الذئب عنه، ثم عن الارهاصات التي سبقت مولده ثم معجزة انشقاق القمر والاسراء والمعراج.

ويقول النورسي ان ما ساقه من امثلة للمعجزات مما يجاوز المئات ما هو الا قطرة من بحر المعجزات الكثيرة جدا التي يحظى بها الرسول الكريم ﷺ «والتي تثبت انه رسول يخبر عن الغيب من لدن خالق كل شئ وعلام الغيوب.»(١)

ويحكى النورسي وهو يتحدث عن معجزة حنين الجذع في مسجد الرسول ﷺ فيقول: «عندما كان حسن البصري يحدث بهذا الى طلابه كان يبكى ويقول: «ياعباد الله... الخشبة تحن الى رسول الله ﷺ شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا للقائه» ويضيف النورسي ونحن نقول: نعم ... ان الاشتياق اليه ومحبته انما هو اتباع سنته وشريعته الغراء»(٢)

وهنا يكشف النورسي هدفه من الافاضة في ذكر المعجزات وايراد وقائعها واسنادها وذلك ليضفى على شخصية الرسول الكريم ﷺ انوارا تجذب القلوب اليه وتملؤها بحبه ليحمل هذا الحب المؤمنين على اتباع السنة والعمل باعماله

---

(١) المكتوبات ص١٤٣

(١) المكتوبات ص١٧٢

ﷺ فتصفو نفوسهم ويتألق ايمانهم وتصلح عبادتهم وتفيض حياتهم باعمالهم الصالحة التي تنفع دنياهم واخرتهم، وهذا هو هدف النورسي وكليات رسائل النور.

والنورسي عالم جليل موهوب مؤمن يتخير الطريق الوسط فهو مع الفلاسفة الا اذا شطوا ومع العلماء الا اذا الحدوا ومع المتصوفة الا إذا اعتكفوا وهجروا الدنيا. وقد تجلى ذلك في رسائله ولكنه كان اذا طرق موضوعا اخلص له وتعمق فيه واعتنى به عناية شديدة قد تتجاوز الحد وخاصة وانه كما قال عن رسالة المعجزات الاحمدية انه املاها ارتجالا وهو في الجبل بدون مراجع مع كثرة الاحاديث النبوية فيها، وانها كتبت في اربعة ايام، وينساب مع التيار الروحاني فيقول: «ان هذه الرسالة واحدة من كرامات تلك المعجزات»(١) ويلاحظ هنا انه اقترب من عالم الميتافيزيقا مع انه في غالبية رسائله كان يقف عند العلم الواقعي المحسوس وينظم على اساسه حركة الحياة المادية التي يطهرها ويوجهها الإيمان ويعصمها من الشطط.

ويلاحظ ان رسائل النور تحفة فنية رائعة بما فيها من صياغة جميلة ومن أسلوب رفيع ومن اثارة للروح وتوجيه للفكر وحرص على المنطق ولكني وقفت متحسبا امامها في موضعين:

الموضع الاول في رسالة المعجزات الاحمدية وهو يتحدث عن الامام علي كرم الله وجهه فيقول: هنا يرد سؤال مهم: يقال ان عليا رضي الله عنه كان احرى بالخلافة واولى بها، فهو ذو قرابة مع النبي ﷺ وذو شجاعة نادرة خارقة وذو علم غزير فلماذا لم يقدموه في الخلافة؟ ولماذا اضطربت احوال المسلمين في عهده؟

الجواب: لقد قال قطب عظيم من آل البيت: كان الرسول ﷺ قد تمنى ان يكون على هو الخليفة، ولكن أعلم من الغيب ان ارادة الله غير هذا، فتخلى عن رغبته تبعا لما يريده الله سبحانه وتعالى.(٢)

---

(١) المكتوبات ص١١٢

(٢) المكتوبات ص١٢٧

وواضح هنا ان الامام النورسي بعلمه وثاقب فكره كان ايضا متحسبا إذ أورد الخبر عن «قطب عظيم من آل البيت» ولم يفصح فكشف بذلك عن عظمة النورسي.

اما الموضع الثاني فهو حين يقترب من المتصوفة واهل الكشف ومن فرط اخلاصه لما هو منخرط فيه يكاد ينساق معهم فيقول عن النبي ﷺ لقد وردت روايات صحيحة تبين مدى رأفته الكاملة وشفقته التامة على امته، بانه ﷺ يدعو يوم الحشر الاعظم بـ(امتي... امتي) في الوقت الذي يدعو كل احد، بل حتى الانبياء عليهم السلام بـ(نفسي... نفسي) من هول ذلك اليوم ورهبته، فكما تبين هذه الروايات عظيم شفقته على امته فقد سمعت والدته منه عند ولادته انه يناجي: (امتي... امتي) كما هو مصدق لدى اهل الكشف من الاولياء الصالحين.(١)

ويلاحظ ان الاستاذ النورسي باستاذيته يورد النص ولكنه في تصديقه يحيل الى اهل الكشف والاولياء الصالحين.

السلام الاجتماعي

كانت الدعوة النورية ووسيلتها رسائل النور تستهدف تربية الانسان المسلم وتمكين الاسلام من قلبه وتزويده بقوة الايمان القادرة على شحذ ملكاته ودفعه الى استرداد حقوقه واستثمار طاقاته ومعطيات الكون من حوله للوصول الى حياة افضل في ظل رضاء الله، وكانت تمارس جهادها هذا بوسائلها المشروعة المنطقية الهادئة، ولعل الدعوة في هذا المنطلق تاثرت بما رأته مما عاناه المجتمع في تركيا من حروب واعتداءات ومؤامرات وثورات عنيفه غيرت الكثير من اوضاعه في حركات ثورية متعددة منذ قيام حركة الاتحاد والترقي ووصولها الى الحكم بالقوة مرتين – كما قدمنا – ثم قيام الثورة الكمالية ومحاولات الانقلاب عليها ونجاحها ثم التغيير العنيف للدين والخلافة واللغة والزي ومناهج التعليم واداء

(١) اللمعات ص٢٩

الشعائر وما صاحب حركات التغيير من عنف وقتل وسجن وتعذيب... الخ، كل هذا في أغلب اليقين كان له صدى في نفسية النورسي وكان له تأثير على أسلوب رسائل النور مما دفعها الى التروى والتحسب وإمعان النظر وترتيب الخطوات وتنظيم المقاومة على أساس سليم قوى عميق فعال بعيدا عن التصادم او حتى الاشتغال بالسياسة المتواضع عليها كما حدث لسعيد القديم وسعيد الجديد.

والغريب انه مع كل هذا لم يسلم النورسي القائد من الاضطهاد والتعذيب والتشريد والاتهام بالجنون والمحاكمات المتعددة والسجن الطويل كما فصلنا سابقا.

وكانت الدعوة النورية في أساسها وأسلوبها منطقية منسجمة مع ماتدعو اليه من الالتزام بالقرآن الكريم عقيدة وعبادة وعملا وسلوكا، فالتطور الطبيعي والتدرج في الوصول سنة الطبيعة التي فطر الله عليها الكون وهو القرآن المشهود، فكل تغيير في الكون يخضع للسنة الكونية التي تتجلى فيها اسماء الله الحسنى من حكمة وغاية وأسلوب تطور والتزام القصد والحكمة وعدم الاندفاع والتهور.

«ان تعقب الصانع الجليل بمقتضى اسم (الحكيم) لالطف صورة في كل شئ واقصر طريق واسهل طراز وانفع شكل... يدل دلالة واضحة على ان الفطرة لا اسراف فيها قط ولا عبث... فما من شئ الا وفيه نفعه وجدواه وان الاسراف مثلما ينافي اسم (الحكيم) فالاقتضاء لازمه ومقتضاه ودستوره الاساس»(١)

وكثيرا ما كان النورسي يشرح منهجه هذا في كثير من مرافعاته أمام المحاكم ويقدم الدليل العملي عليه من التزام تلاميذه الهدوء والعمل في سلام، ولعل هذا كان السبب في تكرار الحكم ببراءته فقد قدم للمحاكمة وحقق معه مئات المرات ولم يحكم عليه بالسجن الامرتين او ثلاثة على حين كان يقضى في

(١) اللمعات ص٥٣٦

السجن اوقاتا طويلة في انتظار التحقيق واثنائه. وكان النورسي في كتاباته ومحاوراته عندما يناقش المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية كان يقول ان الحضارة الغربية تقوم على القوة وهدفها المنفعة ووسيلتها التصادم والصراع فالحرب. اما الحضارة الاسلامية فهي تقوم على الحق وتستهدف الفضيلة ورضاء الله ووسيلتها التعاون والحب والتكافل والسلام والاخاء والسلام الاجتماعي.

ومن ابرز المواقف العملية التي اتخذها النورسي تطبيقا لتمسكه بالسلام الاجتماعي وعدم تزكيته الصراع بين افراد الامة الواحدة او طوائفها سواء كان هذا الصراع ايدلوجيا او صراعا عسكريا موقفه – الذي سبقت الاشارة اليه – من ثورة الشيخ (سعيد بيران) ضد مصطفى كمال اتاتورك وكيف رفض النورسي الاشتراك فيها رغم طلب الشيخ سعيد والحاحه وارساله لعدد من رؤساء القبائل اليه ولكنه قال لهم: « ان الجهاد المسلح لايحشد كليا الا ضد العدو الخارجي... فالصراع المسلح داخل البلاد الاسلامية هو ما يصبو اليه العدو الخارجي... ان الجهاد في اي مجتمع مسلم انما هو جهاد معنوي يوصل اليه عن طريق تنوير الافكار واصلاح القلوب والارواح... ويكون جهادا ايجابيا بناءاً » ويضيف من هم جنود مصطفى كمال اتاتورك؟ انهم ابناء الوطن... انكم تريدون ان يقتل الاخ اخاه ».(١)

ومن المواقف المشكورة للنورسي ضد العنف هو ماحدث اثناء الصراع بين جمعية الاتحاد والترقي والسلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٩٠٩ فقد وقعت حادثة تمرد وعصيان عسكري في معسكر (طاش قشله) في استانبول ثم انتشر التمرد العسكري في المعسكرات الاخرى بالمدينة ونزل بعض الجنود المتمردين الى الشوارع وقتلوا بعض الوزراء والنواب وكبار الضباط وقد القى النورسي عدة خطب على الجنود المتمردين في المعسكرات ونشرت هذه الخطب والاحاديث في الجريدة الدينية مما كان له اثر كبير في تهدئة الجنود واستقرار

---

(١) سعيد النورسي رجل القدر ص١١

الامن والسلام، ومما جاء في احاديثه الى الجنود: «ان عزكم وبهاءكم في الانتظام والانضباط وقد اظهرتموها في احرج الظروف واصعبها واشدها اضطرابا فحياتكم وقوتكم انما هي في الطاعة.. اظهروا هذه الفضيلة المقدسة لاصغر امرائكم فان شرف ثلاثين مليونا من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين اصبح منوطا بطاعتكم انتم». ومنها «ان تاريخ العالم يشهد ان تدخل الجنود في السياسة قد ادى الى اضرار جسيمة للدولة وللامة معا.. فلابد ان حميتكم الاسلامية ستصرفكم عن مثل هذه الاضرار التي تصيب حياة الاسلام التي تكفلتم بحفظها»(١)

ومن هذا يتضح كم كان النورسي حريصا على السلام بين افراد الامة وطوائفها وطبقاتها وهو يمارس كفاحه مع تلاميذه في اصرار وعزم وشموخ وكرامة مع احترام للقوانين وعدم الخروج عليها، ليس عن ضعف ولكن عن فهم وادراك ومعرفة اصول تأدية الرسالة وتحقيق مراميها واهدافها والطرق السلمية لتحقيق هذه الاهداف فقد كان النورسي يقول: «ان الحرية الشرعية النابعة من الايمان انما تأمر بان لايذل المؤمن ولايتذلل فمن كان عبداً لله لايكون عبدا للعباد» ويقول: «ان التودد الى وحش جائع لايثير شفقته بل يثير شهيته» وكان النورسي مشغولا بتربية الانسان على السلام.. السلام.. مع ربه ومع الكون من حوله ومع نفسه ومع الناس ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ومن كلامه في اسس السلام في المجتمع الاسلامي «يعتبر الاسلام الفاسق خائنا ويرد شهادته. ويفنى المرتد ويهدر دمه لانه يعده سما زعافا في المجتمع.. بينما يبقى على حياة النصراني الذمي والكافر المعاهد.. وشهادة الذمي مقبولة لدى الاحناف ويقول في محاولة بث الحب بين جماعة المسلمين حتى وان اخطأ احدهم «لايجوز اغراق سفينه تحمل مجرما مع ابرياء كثيرين لذا لايجوز عداوة المؤمن الحامل لصفة مجرمة مع صفات بريئة كثيرة.. ولاسيما ان سبب المحبة وهو الايمان عظيم عظم جبل احد، بينما سبب العداوة انما هو كالحصيات التافهة..

(١) صيقل الاسلام - الخطبة الشامية.

وان تفضيل الحصيات على جبل احد بلاهة أيما بلاهة، كذلك عداوة المؤمن للمؤمن فقدان للقلب والضمير مثله.»

ويرى النورسي ان الاسلام ضمن السلام الاجتماعي والاقتصادي بان فرض الزكاة وحرم الربا، فأعطى للفقير المستحق حقه من مال الغنى الزائد عن الحاجة، كما منع استغلال الانسان لحاجة الانسان الاخر المحتاج، على خلاف الشرائع والقوانين الوضعية التي تمكن للاستغلال والطبقية، وعدم التراحم وعدم التكافل بين الناس افرادا وطبقات ويقول النورسي: «ان الايمان يزين الفضيلة كما ان الفضيلة لاتكون وسيلة للتسلط والاستبداد فهما نقيضان لها، ولابد ان يلتزم اهل الفضيلة بالتواضع والانسجام مع المجتمع وافراده، ومحاولة الاخذ بيدهم من الفقر والعجز» ويضيف «ولله الحمد جرت حياتي ولاتزال على هذا المبدأ».

ومن أهم دلائل تمسك النورسي بالسلام الاجتماعي هو ايمانه بأنه لايمكن اجبار الانسان على الايمان بشئ بالتخويف والعقاب، بل لابد من اتباع منهج الاقناع وتحكيم العقل والوجدان حتى يتمكن الايمان من نفسه، وان النظم المؤسسة على الجبر والديكتاتورية قصيرة العمر جدا.

الوحدة الاسلامية

كان النورسي بفضل ايمانه وتلمذته الصحيحة للقرآن الكريم يؤمن ايمانا جازما بأن المؤمنين في كل اقطار الارض اخوة، يضمهم اتحاد واحد هو الاسلام وينظمهم ويرتب شؤن حياتهم دستور واحد هو القرآن، ولهم قائد وزعيم ومرشد واحد هو محمد ﷺ.

ولقد قامت الدعوة للوحدة الاسلامية ككيان قائم يمكن ان تكون له فاعلية في عهد السلطان عبد العزيز ١٢٧٧هـ ١٨٦١م، ومن بعده السلطان عبدالحميد الثاني الذي نادى بالجامعة الاسلامية وبدأ في انشاء خط حديد الحجاز ليربط تركيا بالبلاد العربية وخاصة مكة والمدينة نقطة ارتكاز الدعوة الاسلامية، وذلك تأييدا لموقفه من القوى المعارضة في الداخل، وتلويحا للقوى الخارجية

المتربصة به بما يمكن ان يحصل عليه من سند من كافة المسلمين في جميع انحاء العالم بصفته خليفة لهم، وبعض هؤلاء المسلمين يشكلون غالبية السكان في بعض مستعمرات الدول الاوربية في أسيا وافريقيا.

اما النورسي فقد دعا للوحدة الاسلامية بشكل عام شأن دعوة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وشاعر الاسلام في تركيا محمد عاكف ١٨٧٣-١٩٣٦م الذي حارب القومية الطورانية والعثمانية على انهما دعاوى استعمارية لتفريق العالم الاسلامي ودعا الى الوحدة الاسلامية، وقد سبقت الاشارة الى ان النورسي زار دمشق ١٩١١ والقى خطبة بالمسجد الاموى تعرف بالخطبة الشامية وفيها دعا الى الوحدة الاسلامية شرح مبرراتها ومايصادفها من عقبات وطريقة تذليل هذه العقبات.

وقد ساند النورسي بعد ان رأى انحراف الحكام في تركيا بعد السلطان عبدالحميد ثم بعد سقوط السلطنة فالخلافة ماسمى «بالاتحاد المحمدي» ودعا الى الجامعة الاسلامية واعتبر الدعوة الى نشر الفكرة فرضا على كل مسلم، اذ ان قيام هذا الاتحاد – من وجهة نظره – هو العلاج لكل ما آلت اليه الدول الاسلامية من تخلف، وتنبأ النورسي للدول العربية بانها سوف تتحد بعد اربعين او خمسين سنة لتكون كالولايات الامريكية المتحدة، ويقول عن اساس المجتمع الاسلامي وبناء الامة الاسلامية ان الاسلام منذ القرون الوسطى ينكر التعصب والعداء ويحبذ العدالة والاعتدال ويأمر بحسن الاخلاق والفضائل، وليس هناك مبرر لخشية الدول الغربية من اتحاد المسلمين، لان المسلمين هم الذين سيقفون في وجه الشيوعيين والزنادقة والملحدين الذين يشيعون الفوضى في العالم.

ويأخذ النورسي من القومية موقفا في منتهى الوعى والاعتدال انتهاجا لنظرة الاسلام وتعاليمه، اذ انه يرفض القومية التي تقوم على التعصب والعنصرية والاعتداد الذي يؤدي الى التنافر والتصادم مع القوميات الاسلامية الاخرى، لكنه يزكى القومية التي تتآلف مع الاسلام وتمد يدها عن رضى ورغبة صادقة

هي التعاون والتآلف والاتحاد مع غيرها من القوميات الاسلامية، ويتهم النورسي اوربا بانها ناشرة الفكر العنصري بين المسلمين بغية تفريقهم والوقيعة بينهم وصرفهم عن الاتحاد والتعاون الاسلامي الى حد انه كان يسمى العنصرية المرض الاوربي، ومعنى ذلك ان النورسي كان يرحب بالقومية اذا قامت في اطار الاسلام ويسميها القومية الاسلامية الواجبة ولعله كان يقصد انه خير للبناء الاسلامي ان يقوم على لبنات اسلامية متماسكة اي قوميات مسلمة، فهذا خير من ان يقوم على ذرات رمال مفككه، ويلاحظ هنا صعوبة محاولة تحقيق المعادلة الصعبة.

ويرى النورسي ان بناء الامة الاسلامية يقوم اساسا على بناء الفرد المسلم المكلف شرعا بالجهاد الاكبر وهو مجاهدة النفس وترويضها على التزام الشريعة والتخلق باخلاق النبي ﷺ واحياء سنته الشريفة، وكان يرى ان ظهور الانبياء عامة في هذه المنطقة دليل على ان تعاليم الدين وحدها هي الطريق الوحيد الى تقدم المنطقة وسعادتها ورخائها، وكان يقول كل مؤمن – في كل مكان – هو منتسب لجماعتنا ودليل هذا الانتساب هو العزم القاطع على احياء السنة النبوية في عالمه الخاص، ويقول: «نحن منذ الازل داخلون في الجمعية المحمدية فالتوحيد هو بذرة الوحدة، والاتحاد فيما بيننا، وقسمنا وعهدنا هو الايمان»، ويضيف: اننا عندما نقول (الاتحاد المحمدي) الذي هو اتحاد الاسلام فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة او بالفعل وليس المراد جماعة في استانبول او في الاناضول، اذ ان قطرة من ماء تحمل صفة الماء، فلا احد خارج هذا الاتحاد ولايخصص هذا العنوان لاحد بذاته وتعريفه الحقيقي هو:

ان اساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال ومركزه الحرمان الشريفان، واساس وحدته التوحيد الالهي، وعهده وقسمه الايمان، ونظامه الداخلي السنة النبوية الشريفة وقوانينه الاوامر والنواهي الشرعية ومقر اجتماعاته جميع المدارس والمساجد والزوايا، وناشر افكار تلك الجماعة هو القرآن الكريم وتفاسيره ومنها رسائل النور وجميع الصحف العربية

والجرائد النزيهة التي تستهدف اعلاء كلمة الله، ومنتسوه جميع المؤمنين، ورئيسه فخر العالمين عليه افضل الصلاة والسلام.

وقد اعلن رسميا عن قيام (الاتحاد المحمدي) في ٥ ابريل ١٩٠٩ في احتفال مهيب في «جامع ايا صوفيا» وقد القى النورسي خطابا في الاحتفال، اذ كان مناصرا للاتحاد وان لم يكن بين مؤسسيه.(١)

وقد جاء في رسالة للنورسي يرد فيها على احد اعضاء جماعة الاخوان المسلمين في حلب: «ان طلاب النور، الذين هم بمثابة خلف للاتحاد المحمدي السابق يمثلون الاتحاد الاسلامي في الاناضول، اما في البلاد العربية فالاخوان المسلمون الذين يمثلون الاتحاد الاسلامي».(٢)

ومن هذا يمكن ان يستخلص ان النورسي حين لم يقصد ان يكون جماعة او طريقة صوفية لانه لايريد ان يحصر دعوته في طائفة وطريقة ومجموعة محدده، فهو كذلك لم يقصد ان يكون جماعة سياسية او دينية محددة بل يريد لرسالته ورسائله ان تشيع بين جميع المسلمين اينما كانوا فهو يناصر الاتحاد المحمدي وان لم يشترك في تأسيسه ثم هو يعتبر طلاب النور خلفا له في تركيا والاخوان المسلمين خلفا في البلاد العربية ويقول للاخوان المسلمين في رسالته المشار اليها:

«ان طلاب النور والاخوان المسلمين – من بين صفوف عديده – يشكلان صفين مترافقين ومتوافقين ضمن حزب القرآن وضمن دائرة الاتحاد الاسلامي المقدسة، ولقد سعدنا باهتمامكم الجدى برسائل النور وبعزمكم على ترجمة بعضها الى اللغة العربية ونحن نحمل لكم شعور العرفان بالجميل».(٣)

---

(١) الفكر الأدبي والديني عند الداعية الاسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ص٢٣٨ وما بعدها.
(٢) الملاحق في فقه دعوة النور ص٣٣٧
(٣) المرجع السابق

الجديد عند النورسي

كان النورسي بحياته وبرسائل النور التي ذوب فيها كيانه بفكره وقلبه وروحه ظاهرة جديدة لها ملامحها الخاصة في الفكر الاسلامي، وتنفرد بما يميزها عن غيرها من الدعوات الاسلامية المعاصرة، مثل دعوة جمال الدين الافغاني التي كانت تقوم على محاولة ايقاظ المسلمين لمحاربة اعدائهم والتخلص من البدع التي سادت حياتهم، او دعوة الامام محمد عبده التي كانت تتركز على تجديد الفكر الاسلامي ومواجهة مشاكل العصر بعقلية اسلامية متطورة، او دعوة السنوسية التي كانت تدعو الى التمسك بالكتاب والسنة والتخلص من البدع والتعصب المذهبي، او دعوة محمد اقبال التي كانت تنصب على ضرورة فهم عقيدة التوحيد والاعتداد بالذات الاسلامية الرفيعة.

ولكن النورسي انفرد بالتركيز الشديد على القرآن الكريم وفهمه وهضمه وتمثيله وتفسيره في الرسائل تفسيرا لايكتفي بمجرد الافهام ونقل المعنى، ولكن يتعدى ذلك الى التاثير في النفس وصبغ السلوك، وهو بهذا يحاول ان يتعدى بالرسائل مرحلة مجرد الدعوة، ليصل بها الى مرحلة البرنامج العملي المنفذ، وكانت وسيلته الى هذا الا يتوقف عند مجرد الاعلام او اقناع الفكر ولكن يتجاوزه الى التاثير في اعماق الشعور والوجدان واثارة الارادة للحركة والعمل.

وقد استطاع النورسي ان يصوغ من نفسه شخصيا عاملا مؤثرا في انطلاق الدعوة، فقد كان بموهبته والهامه وطبيعة حياته والظروف التي واجهته وسلوكه ومقاومته وطريقته في مخاطبة نفسه وفي اسلوبه الرائع القريب – على جماله – من جميع مستويات الفهم والتوجه الى العقل والفكر وفي نفس الوقت الى القلب والوجدان، كان بكل ذلك يمكن لدعوته في التلاميذ والمتلقين وينفرد بهذا عن غيره من الدعاة.

ويقول الباحث الدكتور محسن عبدالحميد «ان النورسي كان ينقل مشاعره المتأججة الى الناس كي يفكروا كما يفكر، ويتذوقوا كما يذوق

ويهتاجوا كما اهتاج هو ليحصل لهم اندماج ايماني عميق بالوجود كما حصل له» ويضيف الباحث الكبير انه عندما قرأ النورسي القراءة الثانية الكاملة الموصولة كان يشعر ان النورسي عاد الى الحياة في كيانه هو، وهذا فيما هو واضح غاية التاثير.(١)

ويبدو ان الجانب الروحي في الدعوة وخاصة اذا كانت تعبدية لا يقل اهمية عن الجانب الفكري والمادي بل يجب ان يتساويا حتى تحقق الدعوة مبتغاها، ويذهب بعض المفسرين الى ان حكمة وقوع معجزتي الاسراء والمعراج للنبي الكريم ﷺ بانهما كانتا بالروح والجسد معا لان المعارف الدينية والتعبدية لايمكن للمرء ان يستوعب كل دقائقها الا باستخدام جميع احاسيس كيانه الروحية منهما والمادية.

وكمثال موجز جدا من رسالة كتبها النورسي الى تلاميذه من منفاه في (بارلا):

وهي قرية جبلية صغيرة ومهجورة في جنوب غرب تركيا قضى فيها النورسي عدة سنوات منفيا: «انا الان في موضع على ذروة شجرة صنوبر ضخمة عظيمة منتصبة على قمة شاهقة من قمم جبل (چام) لقد استوحشت من الانس واستأنست بالوحوش وحينما ارغب في المحاورة والمجالسة مع الناس اتصوركم بقربى خيالا.. والان اليكم خاطرة فيها شئ من الخصوصية.. ان قسما من اهل الحقيقة يحظون باسم الله «الودود» من الاسماء الحسنى، وينظرون الى واجب الوجود من خلال نوافذ كل الموجودات بتجليات المرتبة العظمى لذلك الإسم.. كذلك اخوكم هذا الذي لايعدّ شيئا يذكر.. وهو لاشئ.. قد وهب له وضعٌ يجعله يحظى باسم الله (الرحيم) واسم الله (الحكيم) من الاسماء الحسنى، وذلك اثناء مايكون مستخدما لخدمة القرآن فحسب».(٢)

---

(١) النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد ص٩٧

(٢) المكتوبات ص٢٣

وهذه صورة في منتهى الغرابة وتثير الاندهاش حقا فهي تصور رجلا يعيش وحيدا على شجرة صنوبر في قمة جبل منعزل، استعاض عن الناس حوله بوحوش الجبل الذي أنس اليهم وانسوا اليه، وهو عندما يشتاق للحديث ويحس انه في حاجة ماسة اليه يتخيل وجود اصحابه الذين يكتب اليهم الرسالة ويناقشهم ويحاورهم في الخيال ويكتفي بذلك. ثم يكتب لهم موحيا وقائلا انه في منتهى السعادة، لانه احس وهو في حالته هذه برضاء الله، وان الله خصه باسم الجلالة (الرحيم) و(الحكيم) مادام خادما للقرآن.

ألا يكفي ان يقرأ انسان اي انسان هذا الكلام ليمتلئ قلبه ايمانا وتشتعل روحه عزيمة لتحول هذا الايمان الى عمل صالح ينفع صاحبه في الدنيا والاخرة؟

والجديد الذي توصل اليه النورسي في تلقى القرآن الكريم هو ان القرآن ينفرد عن كل كلام بالتوازن الادراكي والمعرفي المحيط والشامل لكل الموجودات والمدركات والحقائق مع النظرة الكلية الشاملة لمحافظته على النسب الواجبة بين الأشياء المقدرة لعنصرى الزمان والمكان وعنصرى الانسان والكون، والجامعة المانعة في كل قضية يتعرض لها. ولذلك فقد طرح اجتهادات الفلاسفة المعتمدة على الماديات ومدركات الحواس فقط، كما طرح معطيات علم الكلام المقتصرة على الفكر المجرد، وطرح كذلك مدركات الصوفية التي سبحت وراء الالهام بعيدا عن الواقع، ويقول ان كل هؤلاء الباحثين عن اليقين والمعرفة تحلقوا حول شجرتها وحاولوا الوصول الى الثمرة، ولكن كل فريق تشبث بغصن واحد فتفرقوا بين الاغصان واخطأوا الوصول الى الثمرة، وباءت كل محاولاتهم للوصول الى اليقين بالفشل، بينما ينفرد طريق القرآن الكريم ببلاغته المعجزة وجزالته الساطعة فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، اذ هو اقرب طريق وايسره في الوصول الى الله، وهو انجح هذه الطرق لانه اقرب الى اثارة الفطرة الانسانية وتحريك العقول الباحثة عن الحق، والنفوس العامرة بالتوثب المتطلعة الى الحقيقة، وبهذا استطاعت رسائل النور بالقرآن ان تعالج

جمود علم الكلام النظري الصعب وان ترد شطحات الصوفية وان تلجم الفلسفة المادية الملحدة، وان تطرح قضايا الايمان الاساسية من وجود وتوحيد وايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والغيب والجنة والنار طرحا مبرهنا استدلاليا يمكن لمن ضل من جهة الفكر والعلم ان يستفيد منه ما ينجيه من مزالق الافكار الفسلفية ومن تعقيدات علم الكلام ومن شطحات المتصوفة، هذا فضلا عن الخاصية الكبرى لرسائل النور المستمدة من القرآن الكريم والمتمثلة في المقدرة على القضاء على وساوس النفس وانحرافات الفكر وبواطن الشكوك الكلية والجزئية، ويقول النورسي عن ذلك «ان القرآن يرى جميع الدساتير التي تحقق سعادة الدارين ويبينها مع بيانه كل ركن من اركان الايمان الستة بالتفصيل وكل ركن من اركان الاسلام الخمسة بقصد وجد محافظا على الموازنة فيما بينهما جميعا مديما تناسبها، فينشأ من تناسب مجموع تلك الحقائق وتوازنها اعجاز معنوى رائع للقرآن...(١)

ومن هذا يتبين ان علماء الكلام وان تتلمذوا على القرآن والفوا الوف الكتب الا انهم لترجيحهم العقل على النقل كالمعتزلة عجزوا عن ان يوضحوا ما تفيده عشر ايات من القرآن الكريم وتثبته اثباتا قاطعا بما يورث القناعة والاطمئنان، وذلك لانهم يحفرون عيونا في سفوح جبال بعيدة ليأتوا منها بالماء الى اقصى العالم بوساطة انابيب، اي بسلسلة الاسباب، ثم يقطعون تلك السلسلة هناك فيثبتون واجب الوجود والمعرفة الالهية التي هي كالماء الباعث على الحياة، اما الايات القرآنية فكل منها كعصا موسى تستطيع ان تفجر الماء اينما ضربت، وتفتح من كل شئ نافذه تدل على الصانع الجليل وتعرفه..(٢)

وتلك الجملة الاخيرة «وتفتح من كل شئ نافذه..الخ» هي ملخص فلسفة النورسي وطريقته ومنهج رسائل النور التي تقوم على التأمل في القرآن الكريم لتفتح من خلال اياته وكلماته وسوره نوافذ تطل منها على الكون فترى في كل

---

(١) الكلمات ص٥١٤

(٢) المكتوبات ص٤٢٥

ناحية فيه صغيرة او كبيرة دليلا ناطقا شاهدا على وجود الله ووحدانتيه وعظمته وقدرته وارادته، وجميع اسمائه الحسنى منعكسه وممثلة نسبيا في دقائق الكون وفي نفوس البشر.

ولذلك فان كليات رسائل النور يجب ان تعرض وان تدرس كتجربة قيادية متكاملة من حيث المنطق والفكر والعقل والروح والشعور والاحساس كدفعة ايمانية متوازنة ومنهجا تربويا شاملا في نطاق استاذية القرآن الكريم، وقيادة الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام.

ان التراث الاسلامي حافل بالدراسات القيمة عن اعجاز القرآن، وقد استفاد النورسي منها ولاشك، ولكنه اضاف وخاصة فيما يتعلق بالاعجاز الكوني في القرآن الكريم، لقد اثبت النورسي اعجاز القران من تعبيره عن حركة الوجود بجامعية متوازنة تربط بين المعرفة الكونية الشاملة ولاتفصل بين الاصول والفروع وبين الخالق والمخلوق وبين الانسان والكون المحيط به حيث وضعه القرآن في مركز الكون وجعله ثمرة يانعة لنظام الكون الرائع.

وقد انشغل النورسي كثيرا – امام الحضارة الغربية والحادها المفروض على الاتراك بقوة القانون – بقضية اثبات وجود الله، وتكثيف الادلة على هذا الوجود وبيان ان الكفر والانكار والالحاد قائم على النفي والنفى لايمكن اثباته فهو انكار وجهل ومعناه عدم ونفي، «اما الايمان فهو علم ووجود واثبات واقرار وحكم».(١)

ويسوق النورسي آلاف الادلة على وجود الخالق مستقرئا جوانب الكون من الذرة الى المجرة، مستثمرا العلوم الحديثة ومظاهر الحياة المعاصرة ضاربا الامثلة المتعددة فيقول مثلا «ان حقيقة الحدوث قد استولت على الكون فالعين ترى اكثرها والعقل يرى القسم الآخر منها، ذلك لاننا نشاهد انه مع حلول الخريف في كل سنة يموت عالم عظيم جدا، فتموت معه افراد غير محدودة لمائة الف نوع من النباتات والحيوانات الصغيرة، ولكن هذا الموت يجرى في غاية النظام

(١) رسالة الآية الكبرى ص٣٤

« ويريد النورسي ان يضرب بذلك مثلا وصورة مصغرة لما يحدث يوم القيامة ﴿ **اذا رجت الأرض رجا، وبست الجبال بسا، فكانت هباء منبثا** ﴾(الواقعة: ٤) ثم يضيف « وبحلول موسم الربيع تبعث باعيانها تلك التي توفيت من الاشجار والاصول والحيوانات الصغيرة، وتحيا وتخلف امثال ومشابهات قسم آخر منها في اماكنها فتمثل بذلك مائة الف مثال ونموذج للحشر الاعظم ومائة الف دليل عليه « ويضرب هنا مثلا بيوم البعث، وهذه هي طريقة النورسي في ضرب الامثال وتقريب الصور الى الاذهان ومحاولة اقناع المتلقين، ويشرح القاعدة فيقول: « ان هذا الكون يحتاج الى قيوم يكون قائما بذاته دائما بذاته باقيا بذاته، وتكون الاشياء والموجودات قائمة به تدوم وتبقى في الوجود به، فلو انقطع هذا الانتساب للقيومية من الكون باقل من طرفة عين يمحى الوجود كله ».

ماهية الوجود واسماء الله الحسنى:

يقول النورسي وهو يحاول شرح ماهية الوجود ان الوجود الاعظم تتجلي منه اسماء الله الحسنى وهذه الاسماء الحسنى تنعكس من وجودها المخلوقات جميعا...(١) الكون والانسان، فالوجود الاعظم مطلق الوجود ووجود الكون نسبي ووجود الانسان نسبي، ويجيب النورسي على قول دعاة الضلال والالحاد بأن التغيير في الموجودات الكونية وفي حياة الانسان يدل على خضوع الموجود المطلق للتغيير، فيشرح قائلا ان تغيير وضع المرآة التي تعكس الصورة يغير الصورة ولكنه لايغير الاصل المنعكسه عنه الصورة، وهذا قول منطقي ومعقول فالوجود المطلق ثابت وقديم ودائم ولايتغير ولكن تتحرك بيده الكائنات والمفهوم والمعلوم ان الذي يحرك الاشياء ويغيرها بنظام يكون ثابتا لايتحرك ولايتغير.

وصفات الله في مفهوم النورسي تصدر عنها تجليات الاسماء الحسنى في

---

(١) الكلمات ص٥٠٨

الوجود ﴿ **وان من شئ الا يسبح بحمده** ﴾(الاسراء: ٤٤) فكل الكائنات تستند الى الاسماء الالهية الحسنى، ان الحقائق الحقيقية للاشياء انما هي الاسماء الالهية الحسنى، اما ماهيات الاشياء فهي ظلال تلك الحقائق.

وكان النورسي دائما يقول اذا ماتعرض لاراء الفلاسفة: « اين انا من هؤلاء العمالقة فأنا بجوارهم لا اساوى شيئا، ولكنى عندما انظر في مصدر علمي ومصدر علمهم وأرى ان مصدر علمي واستاذي هو القرآن الكريم فحين ذلك تطول قامتي واقف الى جوارهم وقد ازيد عنهم،(١) ويلاحظ ما في هذه الاشارة من تواضع، وما فيها من توجيه الى معرفة قدر القرآن الكريم، وهكذا كان النورسي يعلم تلاميذه، ولايخفى ما في هذا الدرس الجليل من معنى.

والامر الذي لاشك فيه ان النورسي افاد من كتاب « المقصد الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى، لحجة الاسلام الامام الغزالي » ولكن الغزالي جريا على ما درج عليه علم الكلام قديما وقف عند محاولة اكتشاف ماهية الاشياء وعلاقتها باسماء الله الحسنى، اما النورسي فقد اضاف ان كل هذه الاسماء والصفات تشكل كيانا كبيرا متماسكا متناسبا في يد القدرة العلية ويتحدد السلوك العام لكل جزء من الكيان بنسبة شيوع صفات اسماء الله فيه وما تعكسه من صفات والاتساق بينهما، مع ملاحظة ان المخلوقات تتحرك بفطرتها اما الانسان فيتحرك بحرية ويتحمل المسؤولية.

وقد قال الاستاذ الفيلسوف الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه « ثقافتنا في مواجهة العصر »: كان من بين ما اوحى الى بهذه النظرة الى الاسماء الحسنى وهي النظرة التي تجعل منها قيما للسلوك البشري كتاب صغير عميق ملهم هو كتاب الامام الغزالي (المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى) فالامام في كتابه هذا يلقى على الاسماء الحسنى اضواء ساطعة تبرز معانيها الخفية وهو يعقب على شرحه لكل اسم منها بقوله (ان نصيب العبد من هذه الصفة كذا وكذا) فيبين للقارئ كيف يسلك في حياته العملية على ضوء هذه

---

(١) النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبدالحميد ص١٩٤

الصفة المعينة او تلك من المجموعة باسرها، ولو استطعنا بناء هذه القيم على نحو منسق كان لنا بذلك لامجرد عدد متناثر من القيم بل مجموعة موحدة ويكون مثل هذا التوحيد في القيم جانبا هاما من التوحيد الذي هو أميز ما يميز عقيدة المسلم، فمن نقائض عصرنا بشهادة رجال الفكر اجمعين انه عصر أدى بشبابه الى حالة من التمزق والتفسخ والضياع لان القيم التي ينطوى عليها هذا العصر ليست على اتساق بعضها مع بعض، فنرى هذه القيمة المعينة تغرى الناس بالتزام العقل الصارم (في دنيا العلوم مثلا) بينما تغريهم تلك الاخرى بالخروج والعصيان وتفضيل الغريزة والوجدان على العقل ومنطقة (كما هو مشاهد في كثير من نتاج الادب والفن في تمرد الشباب).

ولو تسنى للدكتور زكي نجيب محمود ان يتابع محاولات النورسي في رسائل النور عن صفات الله والاسماء الحسنى وانعكاساتها في الكون والانسان لوجد ان النورسي خطا خطوات هامة في السبيل الذي يدعو اليه الدكتور زكي نجيب، فالنورسي يكشف ان كل اسماء الله الحسنى تكون كلا واحدا متماسكا يتناسب فيه وجود مدلولات الاسماء على تناقضها، ولكن النسبة المحسوبة في الوجود الذاتي لكل صفة تجعلها تتلاءم وتتناسق وتنسجم وتتفاعل مع أثر غيرها من الصفات لتشكل الذوات المحدودة المنطلقة عن الذات العليا والتي تتجه في سعيها – وخاصة الانسان – الى الكمال الممكن متوجهة الى الكمال المطلق ويقاس تقدم المجتمعات والأمم بمقدار الاقتراب من المثل الاعلى او الابتعاد عنه فالله سبحانه وتعالى خلق كل شئ بحكمته البالغة وترك لارادة الانسان بما يتاح لها من حرية التصرف وتحمل المسؤولية ويلفتنا هنا قول النورسي: «ان خلق الشر ليس شرا ولكن ممارسة الشر هي الشر» وهذا هو التجديد الذي اضافه النورسي لتراث علم الكلام الذي كان يقوم على ما يشبه القوانين الرياضية ويسير على الخطوات المنطقية المحددة المجردة فقد دفعه النورسي وخاصة في قضية خطيرة مثل اسماء الله الحسنى وخلق الكائنات كانعكاسات لها الى الاتصال بالحياة المعاشة ومحاولة التفاعل معها.

القضاء والقدر:

من الموضوعات التي اجتهد فيها النورسي واضاف اضافة لها وزن موضوع القدر وقد افرد له الكلمة السادسة والعشرين، وهي ليست طويلة فهي لم تتجاوز عشرين صفحة ولكنها محكمة غاية الاحكام ومؤدية الى الهدف منها، والنورسي كما عرفنا عن ابعاد شخصيته فيما قدمنا متواضع غاية التواضع وخاصة مع تلاميذه والمتلقين عنه يبدو ذلك من رسائله المسجلة في كتاب « الملاحق » ولكنه شامخ غاية الشموخ امام اعدائه ومعارضيه وخاصة اذا كانوا من اصحاب السلطان، كما يبدو ذلك في مرافعاته امام المحاكم التي اوردنا بعضها، ثم هو من ناحية ثالثة معتد بعلمه عارف لنفسه قدرها، وقد بدا ذلك جليا في الكلمة السادسة والعشرين اذ سجل في هامش المبحث الثاني ما يلي: « هذا المبحث الثاني هو أعمق واعضل مسألة في القدر وهو مسألة عقائدية كلامية ذات اهمية جليلة لدى العلماء المحققين وقد حلتها رسائل النور حلاً تاماً » كما سجل في هامش الوجه السادس ما يلي: « حقيقة خاصة للعلماء المدققين غاية التدقيق ».

والنورسي محق لان موضوع القدر من الموضوعات التي حيرت اصحاب العقول منذ فجر التاريخ سواء كانوا من الفلاسفة او العلماء او الكهان او رجال الدين، وقد عنى بها القرآن الكريم عناية كبيرة، واورد الاشارة اليها في آيات عديدة منها: ﴿ **وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزل الا بقدر معلوم** ﴾(الحجر: ٢١) ﴿ **وكل شئ احصيناه في امام مبين** ﴾(يس: ١٢) و﴿ **ما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا** ﴾(آل عمران: ١٤٥) و﴿ **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾(النساء: ٧٩) و﴿ **الله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير** ﴾(فاطر: ١١)

وقد حفل التراث الفكري الاسلامي بالكثير حول هذه القضية واختلفت

المدارس فيها وتعددت وخرجت القلة عن المدار الصحيح فقال الجبريون بالجبر والتحكم الكامل للقدر وانكر المعتزلة تحكم القدر وجعلوا الحرية الكاملة للارادة البشرية وان كان الله هو الذي خلق الانسان بكل طاقاته وقدراته ونزعاته واتجاهاته وميوله السلوكية، بينما اتفقت غالبية المدارس على رفض الجبرية المحضة رفضا قاطعا وذهب جمهرة من علماء السلف الى ان العبد فاعل لفعله حقيقة والله هو الخالق له حقيقة مع اختلاف شكلي يكاد يكون لفظيا بين مختلف المدارس المعروفة. فالاشاعرة يقولون ان الله تعالى هو الخالق للفعل والعبد هو الذي يكسبه ويتفق جميع اصحاب هذه المدارس على ان يعدوا الانسان مسؤلا عن عمله لانه مكلف شرعا أناط الله به الخلافة في الارض.

وتبقى مسألة القضاء والقدر موضع خلاف وان لم يكن كبيرا ولكنه في بعض الاحيان يثير البلبلة حتى أتى النورسي العالم الملهم صاحب المدرسة التربوية التي نذرت نفسها لان تجعل العقيدة والشريعة الاسلامية منهج حياة للمجتمع الاسلامي فنظر في القرآن الكريم ليخرج منه باسس المنهج التربوي المنشود، فجميع الآيات الكريمة التي اثبتنا نماذج منها تدل دلالة واضحة لالبس فيها على ان القدر بيده كل شئ وان اللوح المحفوظ مسطور به دقائق حياة كل انسان من مولده الى موته، وان الانسان في تصرفاته مربوط بالقدر ومشدود بخيوط لا يراها وفي نفس الوقت تثبت الآيات جميعها ان الانسان مسؤل عن عمله وانه يثاب على العمل الصالح ويعاقب على ارتكاب السيئات ولهذا اعدت الجنة للمتقين والنار للمعتدين الخارجين عن النهج الاسلامي، ولكن لايمكن ان يسأل هذا الانسان الا اذا كان له قدر من الاختيار والحرية وهذا ما اتفقت عليه – من حيث المبدأ – غالبية مدارس الفقه كما قدمنا وتركزت نقاط الالتقاء بينهمم على ان الله يعلم الغيب ويعلم ما يفعله الانسان قبل وقوعه، بينما يتحرك الانسان باختياره للقيام بالعمل غير عالم بما سيقع مالكا في نطاق كيانه الانساني لحريته وارادته، وبهذا تتوفر عناصر مسؤوليته التي على اساسها تتحقق عدالة الله جل وعلا في تقرير الثواب او العقاب.

وبعد ذلك تأتي اضافة النورسي الجديدة التي تسخر كل هذه العناصر لتوجيه القدر المتاح من الحرية البشرية للعمل الصالح على اساس من الفهم الصحيح للنصوص القرآنية ودلالتها الفكرية والروحية لتصبح عاملا مؤثرا في تزكية العمل الصالح ورفض غير الصالح، فيقول النورسي مستندا الى ما توصل اليه العلماء ان هناك مع القدر الثابت الوجود والتصرف حيزاً لحرية الارادة البشرية وعلى **ذلك فالمهمة تنحصر في توجيه ذلك الحيز** باستثمار الروح القرآنية، واغلب الظن وارجو الا اكون مخطئاً ان النورسي استلهم الآية الكريمة التي تقول ﴿**ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك**﴾(النساء: ٧٩) لانه يشرح لتلاميذه واتباع مدرسته ثم المسلمين كافة ان اعمال الانسان الناتجة – كما هو واضح بشريا – عن استعمال حريته تنقسم الى قسمين فاذا كانت اعمالا سيئة فالانسان مسؤول مسؤولية كاملة عنها ومن هنا يكون او يجب ان يكون رد الفعل عنها الندم والاعتذار والاستغفار والتوبة لضمان عدم العودة الى ارتكاب السيئات اما اذا كانت اعمالا حسنة وصالحة فان مرجعها الى الله ونصيب الارادة البشرية فيها ضئيل وعندما يتعمق احساس الانسان المؤمن بهذا لايقع في الغرور والرضاء عن نفسه والاعتداء بها الى قدر يدفعه الى الطغيان والخطأ.

وهكذا وظف النورسي النظرية في نطاق حرية البشر المحدودة بعد ان فسرها تفسيرا مقنعا في تحقيق نظريته التربوية للانسان المسلم الذي يؤهله للعمل الصالح المثمر في الدنيا والاخرة. وتكون النتيجة ان النورسي لم يخرج على ما تواضع عليه العلماء في تفسير القدر وحرية الاختيار ولكنه اضاف من عنده شرحا للعمل الارادي يتعلق بالخطوط الفاصلة بين حرية الارادة وتحكم القدر ويوجه النفس البشرية الى اجتناب الاخطاء والوقوع في الذنوب من ناحية وكذلك البعد عن الغرور وزيادة الاعتداء بالنفس الذي اذا زاد قد يخرجها عن طاعة الله من ناحية اخرى.

ومما جاء في نصوص الكلمة السادسة والعشرين:

«ان القدر والجزء الاختياري هما في اعلى مراتب الايمان والاسلام قد دخلا ضمن المسائل الايمانية لانهما ينقذان النفس الانسانية، فالقدر ينقذها من الغرور والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية... ان مسألة القدر ليست للفرار من التكليف والمسؤولية بل هو لانقاذ الانسان من الفخر والغرور ولهذا دخلت ضمن مسائل الايمان، اما الجزء الاختياري فقد دخل ضمن مباحث العقيدة ليكون مرجعا للسيئات لا ليكون مصدرا للمحاسن والفضائل التي تقود الى الطغيان والتفرعن».. ان القرآن الكريم يبين ان الانسان مسؤول عن سيئاته مسؤولية كاملة لان الانسان هو الذي اراد السيئات.

وفي اواخر الكلمة يوجه النورسي كلامه لنفسه قاصدا تلاميذه واصحابه وكل المتلقين قائلا:

يانفسي المرائية لا تغترى قائلة: انى خدمت الدين فان الحديث الشريف صريح (ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) فعليك ان تعدي نفسك ذلك الرجل الفاجر لانك غير مزكاه... واعلمى ان خدمتك للدين وعباداتك ماهي الا شكر ما انعم الله عليك وهي اداء لوظيفة الفطرة وفريضة الخلق ونتيجة الصنعة الالهية.. اعلمى هذا وانقذي نفسك من العجب والرياء؟؟.(١)

اليوم الاخر والحشر:

اول رسالة كتبها النورسي في كليات رسائل النور كانت رسالة الحشر كتبها في (بارلا) وهي القرية الجبلية التي تقع على سفوح جبال طوروس جنوب غربي تركيا والتي نفى إليها النورسي لمدة تسع سنوات وكانت كتابة الرسالة سنة ١٩٢٦ ولذلك فهي تحمل خصائص كتابة كليات رسائل النور شكلاً وموضوعا واسلوبا وفكراً وروحاً، فإن المتأمل في رسائل النور بدقة وتمعن يلاحظ فوق أنها في اسلوب جميل أنها تتناول جميع المدارك ثم أنها في جانب كبير منها تقوم على الحكايات ولكنها ليست حكايات خيال ومجرد

(١) الكلمات – الكلمة السادسة والعشرون – ص٥٤١ ومابعدها.

قصص بل انها تصوير للواقع الثابت على شكل حكاية يتخللها حوار لتقريب الواقع الى ذهن المتلقى وهي غالبا ما توجه الحديث الى نفس قائلها في محاولة للتأثير على المستمع...

ورسائل النور تتوجه في الجزء الغالب الأعم منها الى المسلمين الذين تلقوا إيمانهم بالتواتر والتقليد والوراثة وعاشوا مسلمين اسما وغير مسلمين فعلا فهذا هو القطاع الذي كان يركز عليه النورسي وكان هدفه الاكبر من الرسائل التي كتبت في محاولة لايقاظ جماهير العالم الاسلامي الذين تخلفوا لجهلهم بالدين وتركهم لتعاليمه وان حملوا اسمه عسى ان تدفعهم الى الحركة المؤمنة الواعية التي تعيد اليهم مجدهم وتسعد حياتهم الدنيا وتضمن حياتهم الاخرة، صحيح ان النورسي كان يطيل في بسط دلائل الايمان وبراهين التوحيد مما يمكن ان يفهم منه التوجه لغير المسلمين ولكنه حسم هذا الموضوع عندما قال للشيخ بخيت مفتى الديار المصرية «ان اوربا حبلى بجنين الاسلام وستضع مستقبلا» قاصدا امكانية ان تصل اوروبا عن طريق التقدم العلمي والحضاري الى اكتشاف حقيقة الاسلام والايمان به ولذلك فان الحديث الى الاوربيين لم يكن قضيته الاولى، وهو كذلك كان يقول ان المسلمين اذا التزموا العقيدة والشريعة الاسلامية وتقدموا ووصلوا الى مستوى حياتي رفيع فان ذلك سيجعل غير المسلمين يدخلون في دين الله افواجا ولذلك لم يكن شاغله الاول الحديث الى غير المسلمين، ومن هذا يتضح انه - كما كان يقول - يتوجه بالدرجة الاولى الى المؤمنين الذين لايكفي ان يقولوا آمنا بل يجب ان يدركوا حقيقة الاسلام وان تمتلئ قلوبهم بالايمان وان تتحرك ارادتهم بالعمل الصالح بشريعة الاسلام ليكون ايمانهم تحقيقيا وليس تقليديا.

ولما كان اليوم الاخر والبعث والحشر هو الركن الثاني في الاسلام ولما كان الحديث عنه يستغرق ثلث القرآن الكريم أو يزيد كان منطقيا ان يكتب النورسي الرسالة الاولى عن الحشر، وقد تحدث طويلا عن ضرورة الايمان باليوم الاخر مستعملا كل ما استطاع من منطق شارحا اسماء الله الحسنى موحيا بانه

ليس من المنطقي ولا المعقول ان تقوم هذه الدنيا بما فيها من كائنات كثيرة كبيرة وصغيرة، وان تتوالى في ارضها خطوات الحياة من موت في الخريف وازدهار في الربيع وان يعيش الانسان بمقوماته الجسدية وما فيها من اعضاء ودقائق رائعة ومكوناته الروحية باحاسيسه ومشاعره وملكاته العقلية والفكرية والعلمية وأن يمارس حياته الدنيا في تلاؤم وتناسق مع ظواهر الكون المختلفة، كل هذا ليموت كل شئ في نهاية الامر وينتهي كأن لم يكن دون ان تكون هناك حياة اخرى دائمة ومستمرة تليق بهذا المهرجان الكبير، ومن ناحية اخرى ليس معقولا ولا مستساغا ان يخلق الله الدنيا ويسن لها القواعد والتشريعات والنظم ويرسل الانبياء والرسل بالكتب السماوية توضح الخير والشر وتوجه الانسان للصواب وتنذر بالجحيم للعاصين الخارجين على القانون وتبشر بالجنة للطائعين اصحاب العمل الصالح ثم ينفض هذا العالم كله دون ان يكون هناك حساب او ثواب او عقاب.

ويضيف النورسي ان الايمان بالاخرة فيه سلوى وامل للذين يكابدون الحياة مما يعينهم على مواجهتها سواء كانوا ضعافا او صغارا او شيوخا، ويحاول ان يقرب الموضوع للاذهان فيضرب مثل النفير الذي يجمع افراد فرقة الجيش عند سماعه تشبيها بالبعث والنشور وتصويرا له، او مفتاح النور الذي يضئ المكان كله بمجرد لمسه تخيلا لما يحدث يوم القيامة من موت للجميع مرة واحدة ثم احياء للجميع مرة واحدة.

وكعادة النورسي في الاستناد اساسا على القرآن الكريم وفي الاعتماد كلية عليه يبسط القول في تفسير الآية الكريمة ﴿ **فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير** ﴾(الروم: ٥٠) وبعد ان يطوف بكل هذه الجوانب يقول: « وهكذا لقد فهم من الحقائق السابقة ان مسألة الحشر حقيقة ثابتة راسخة بحيث لايمكن ان تزحزحها اية قوة مهما كانت حتى لو استطاعت ان تزيح الكرة الارضية وتحطمها ذلك لان الله سبحانه وتعالى يقر تلك الحقيقة بمقتضى اسمائه الحسنى

كلها وصفاته الجليلة جميعها وان رسول الله الكريم ﷺ يصدقها بمعجزاته وبراهينه كلها وان القرآن الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه والكون يشهد لها بجميع آياته التكوينية وشئونه الحكيمة.

ولاتحسبن ان دلائل الحشر منحصرة فيما بحثناه من مقتضيات الاسماء الحسنى «الحكيم والكريم الرحيم والعادل والحفيظ» بل ان جميع الاسماء الحسنى المتجلية في تدبير الكون تقتضى الاخرة وتستلزمها، ولاتحسب ايضا ان آيات الكون الدالة على الحشر هي التي ذكرناها فحسب – بلى هناك آفاق واوجه في اكثر الموجودات تفتح وتتوجه يمينا وشمالا فمثلما تدل وتشهد على الصانع سبحانه وتعالى من جهة، فانها من جهة اخرى تشير الى الحشر وتومئ اليه.

اي ان كل شئ يقرأ ويستقرئ بلسان الحال قائلا: «آمنت بالله وباليوم الآخر»

ولكن النورسي المعلم لايفوته ان الكثير مما ساقه من الادلة استنتاجات نظرية بعضها يعوزه الدليل المادي الملموس، ولذلك فهو بامانة العلم وصدقه وبكبرياء الاستاذ وحرصه على ثقة تلاميذه يقول في اواخر الرسالة: «فيا أيها الاخ القارئ لهذه الرسالة بانصاف: لاتقل لم لا احيط فهما بهذه الكلمة العاشرة (رسالة الحشر). لاتغتم ولا تتضايق من عدم الاحاطة بها فان فلاسفة دهاة – امثال ابن سينا – قد قالوا (الحشر ليس على مقاييس عقلية) وانما نؤمن به فحسب اذ لايمكن سلوك سبيله وسبر غوره بالعقل، وكذلك اتفق علماء الاسلام على ان قضية الحشر قضية نقلية اي ان ادلتها نقلية ولايمكن الوصول اليها عقلا، لذا فان سبيلا غائرا وطريقا عاليا ساميا في الوقت نفسه، لايمكن ان يكون بسهولة طريق عام يمكن ان يسلكه كل سالك.

ولكن بفيض القرآن الكريم وبرحمة الخالق الرحيم قد منّ علينا بالسير في هذا الطريق الرفيع العميق في هذا العصر الذي تحطم فيه التقليد وفسد الاذعان والتسليم فما علينا الا تقديم الاف الشكر الى البارئ عز وجل على احسانه

العميم وفضله العظيم اذ إن هذا القدر يكفي لانقاذ ايماننا فلابد ان نرضى بمقدار فهمنا ونزيده بتكرار المطالعة.

وقد اجاب النورسي على سؤال يدور حول طبيعة الحياة في الجنة اجابة تستدعي الاعجاب، اذ كان السؤال كيف تمتلئ الجنة بالفواكه وانواع اللذائذ مع ان طبيعة الحياة الخالدة فيها تختلف عن طبيعة الحياة الدنيا؟ وكان الجواب ان الحكمة الالهية العليا اودعت في الجسم البشري في الحياة الدنيا طاقات وخصائص اهمها المحافظة على الحياة والمحافظة على النوع والجنس ولارادة الله ان تستمر الحياة ويقبل عليها البشر جعل الاعمال التي تكفل الحياة والمحافظة على النوع كالطعام والعلاقة الجنسية مصحوبة بنوع من اللذة، يغرى الانسان بها ويدفعه لمواصلتها لتدوم الحياة، هذا في الحياة الدنيا.

اما في الجنة فان طبيعة الحياة الخالدة تتغير ولاتمارس بطريقة الحياة الدنيا وتصبح الادوات الحياتية لاستمرار الحياة لاضرورة لها ويتم الاستغناء عنها ولكن اقتضت الحكمة الالهية لمضاعفة النعيم في الجنة ان تظل اللذة والمتعة في مشتهيات الحياة فيمارسها الانسان المتمتع بالجنة.

النفس البشرية:

تتميز دعوة رسائل النور عن غيرها من الدعوات والحركات الاسلامية والاصلاحية بالتركيز اساسا على تربية النفس وهي في هذا منطقية مع طبيعتها ومنطلقها الاول القرآن الكريم ﴿ **ونفس وما سواها** ﴾(الشمس: ٧) الذي يعطي أهمية كبيرة لتربية النفس البشرية وتقويمها الى حد ان النبي ﷺ كان يسمى جهاد النفس وترويضها على العمل الصالح الجهاد الاكبر مقارنة بالجهاد الفعلي في ميدان الحرب، ولعل انفراد الرسائل في طريقة انتشارها على النسخ والتوزيع والقراءة بدلا من الاجتماعات العامة والخطب والملتقيات الواسعة جعلها تتأنى في مخاطبة المتلقي وتعنى عناية كبيرة بمحاولة التغيير في اعماقه، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كان ميدان الرسائل مكافحة ما ران على النفس المسلمة من

ادران الحضارة الغربية الملحدة ومعطياتها المادية المغرية واساليبها السلوكية المنحرفة التي كان يدعو اليها دعاة الفرنجة ويمكنون لها بقوة السلطان.

وقد اتضحت نظرة النورسي الى النفس البشرية فيما ذكرناه سابقا عن فهمه وتفسيره للقدر والاختيار حيث انه توصل الى ان نوازع الخير في النفس البشرية مردها في الغالبية الغالبة منها الى القدر وقد استثمر هذا في دعوة النفس الخيرة الى التواضع بينما نوازع الشر والرذيلة في اعماق هذه النفس ودوافعها ذاتية وتنطلق النفس اليها مستغلة مايتاح لها من حرية تستوجب مسئوليتها واستثمر ذلك في دفع النفس المخطئة الى التوبة والتكفير، وكان تخريجه هذا منهجا تربويا رائعا، وانطلاقا من هذا وتأسيسا عليه كان النورسي يقف للنفس البشرية بالمرصاد على اعتبار انها في طبيعتها يغلب عليها انها أمارة بالسوء فركز جهده لكسر شوكتها وترويضها وتوجيهها للخير فهو يقول:

«اعلم ان هذه ثلاثون سنة لي مجادله مع طاغوتين وهما (انا) في الانسان و(الطبيعة) في العالم.. اما هذا فرأيته مرآة ظليا حرفيا، لكن نظر الانسان اليه نظرا اسميا قصديا بالاصالة فتفرعن عليه وتمرد.. وأما هذه فرأيتها صفة الهية وصبغة رحمانية، لكن نظر البشر اليها بنظر الغفلة فتحولت لهم (طبيعة) فتألهت عند ماديهم فأنشأت كفران النعم المنجر الى الكفر..

فللّه الشكر والحمد وبتوفيق الاحد الصمد وبفيض القرآن المجيد انتجت المحاولة قتل الطاغوتين وكسر الصنمين.. فتكشف الصفة الشعورية الالهية والشريعة الفطرية الربانية عن حجاب الطبيعة الموهومة وانسلخت هي منها.. وتكشف (انا) عن ظل (هو) وانشق عنه فأشارت بـ(هو) الى من ليس كمثله شئ جل جلاله».(١)

ويلاحظ طريقة النورسي في مخاطبة النفس والايحاء الى المتلقى ليضمن تأثره والتأثير فيه فيمضى في محادثته عن امور تسعة اغفلها: منها الجسد وهو كالزهور المترينة صيفا الذابلة شتاء، والحيوانية التي تسارع الى الموت، والانسانية

(١) المثنوي العربي النوري ص٢٢١

المترددة بين الزوال والبقاء، والحياة وهي كالقامة القصيرة التي لاتقدم ولا تؤخر مهما طالت فمآلها الى الزوال، والوجود وهو ليس ملكا للانسان فله مالك الملك.. ثم يختتم بقوله «اما أنت فمسافر ثم مسافر ثم مسافر.. فاخرج وانت طائع عزيز قبل ان تطرد وانت ذليل».

ويقول النورسي عن النفس البشرية «نعم يانفسي انت في جسمي تشبهين الطبيعة في العالم فأنتما (النفس والطبيعة) قد خلقتما قابلين للخير مرجعين للشر، اي انتما لستما الفاعل ولا المصدر بل المنفعل ومحل الفعل الا انكما تتسببان في الشر عند عدم قبولكما الخير الوارد من الخير المطلق قبولا حسنا.. فالذي يعبد النفس ويعبد الطبيعة في منتهى الحمق ومنتهى الظلم.(١)

ويقول ايضا: «ان (أنا) لايحمل في ذاته معنى بل يدل على معنى في غيره كالمرآة العاكسه.. وله وجهان وجه متوجه الى الخير يتلقى الفيض ويقبله فحسب اي ليس فاعلا فيه.. والوجه الاخر متوجه الى الشر وهو في هذا الوجه فاعل مصاحب فعل» ويضيف «ان الذي يعرف (انا) على بطبيعتها وعلى وجهها الصحيح ويلزمها حدها يدخل تحت بشارة ﴿**قد افلح من زكاها**﴾ ولكن اذا نسى (انا) حكمة خالقه معتقدا في نفسه انه المالك فقد خان الامانة ودخل ضمن النذير الالهي ﴿**وقد خاب من دساها**﴾(الشمس: ١٠)(٢)

وهكذا يضع النورسي من أسس التربية الاسلامية محاربة شهوات النفس وطموحاتها سبيلا لتطويعها للعمل الصالح وجعل هذا من أهم أسس نظريته وأسلوبه في التربية وهي عودة حقيقية وعملية الى أسلوب القرآن الكريم في تربية النفس البشرية واذا كان ملاحظا أن نظرية النورسي تبالغ بعض المبالغة في لوم النفس وافتراض قوة جانب الشر فيها فإن هذا مرده ولاشك الى النظرة الثاقبة له في البيئة التي كان يعيش فيها ويكابدها من حوله حيث كان المسلمون نتيجة لبعدهم عن التفهم الصحيح لتعاليم الدين الاسلامي والممارسة العملية لها

---

(١) الكلمات ص٢٤٩

(٢) الكلمات: ص٦٣٧

نتيجة لظروفهم وطغيان اعداء الاسلام عليهم، وما جره ذلك من تخلف العالم الاسلامي وتراجعه وصيرورة حياة المسلمين الى الهوان والتبعية والرضاء بالدون والغفلة عما يجب ان يكون عليه حياة المسلمين من عزة وكرامة وتقدم ورخاء وسعادة كل ذلك ملأ نفس النورسي بالحسرة والألم وجعله يقسو في نظرته الى النفس المسلمة التي ترضى بالدنية ويحاول ان يلفتها بشدة الى اوزارها والى بشاعة وضعها لعلها تنتبه وتعود الى رشدها وتتفهم أصول دينها وتعض عليها بالنواجذ وتتحراها في كل تصرفاتها العملية فهذا وحده هو السبيل لانقاذها، ورحم الله النورسي وأثابه.

النظرة الشاملة:

من خصائص رسائل النور انها كلية النظرة شاملة الرؤية للاشياء، فالكون كله كيان كبير بيد الخالق عز وجل، مهما تعددت أجزاؤه وتباعدت المسافات فيه وتنوعت أجرامه وكائناته ودقت تفاصيله وتفاوتت الحركة فيه، فهو في نهاياته كلها خاضع لنظام دقيق مسيّر بيد العليّ القدير الذي لاتأخذه سنة ولانوم، ويكاد يذهل الانسان كلما حاول ان يحيط بجوانب الصنعة الالهية الهائلة الجبارة التي تمسك بزمام الكون ابتداء من الذرة الى المجرة بما فيه من قوى منضبطة تكفل للاجرام السماوية العملاقة السابحة في مداراتها المحيطة بالعالم في نظام وترتيب ودقة وانسجام أن تؤدى دورها وتسبح ربها ﴿**ولكن لاتفقهون تسبيحهم**﴾(الاسراء: ٤٤) دون ان تحيد قيد انملة، **والا تحطم** العالم كله نتيجة اختلال النظام فيه، كما تكفل هذه القوى ايضا انتظام الذرات الدقيقة والنبضات الخافتة والتحركات المحسوبة في اعضاء الأجسام الحية بحيث تضمن الحياة فيها وتحرس نظامها وترعى جريانها وتنظم حتى حركة الجراثيم والفيروسات وسبل الحماية والوقاية منها لتدوم الحياة وتستمر، فضلا عن أن هذه القوى ايضا تكفل صيانة مواد الكائنات وقوانين تركيبها واحكام النظم بينها حتى تتكون المادة وتتطور وتتحلل وتتكون بتغير نسب التراكيب

والمكونات في نظام دقيق يكفل بقاء المادة وتغيرها وتطورها وتأهيلها لمواجهة التغييرات المنظمة المحددة في نواميس الكون بما يكفل له البقاء والصيانة، ولو انطلقنا مع تعدد هذه النواحي لما فرغنا، وحسبنا ان نشير الى ما ذكرته الرسائل من ان كل هذه الموجودات موجودة فعلا ولكن بالواسطة اذ انها انعكاسات لوجود اسماء الله الحسنى المحيطة بكل الكون وكل مافيه ومن فيه العاملة على التلاؤم بين المتناقضات المختلفة المتعددة في نسبة أحكمها القادر المتعال.

والذي أثبتته الرسائل أنها وهي تعرض وجوه الكون المختلفة بظواهرها الجميلة الجليلة الأخاذه التي تملك اللبّ وتملأ الوجدان وتوقظ المشاعر وتشغل القلب وتلفت الانسان لعظمة الله خالق الكون ومالكه هي أيضا تخاطب الفكر وتقنع العقل بمدى الصدق والحق الذي تدعو اليه آخذة بنظام وأسباب العلم وقواعد المعرفة لان منهج النورسي الذي توصل اليه بما حباه الله به من موهبة انه لاينظر الى ماهية الموجودات وتكوينها بقدر ما ينظر الى خواصّها وأداء رسالتها وقيامها بما سخّرها الله له فليس المهم اولا أن ينظر في تكوين الشمس مثلا بقدر ما ينظر الى نورها وضيائها وحرارتها وحركتها بين الاجرام والكواكب والنجوم واداء رسالتها في بعث الحياة ونشرها وتوزيعها وانطلاقا من معرفة هذه الخواص وترتيبها يمكن الوصول الى النظام الشامل للكون ومن هنا يترسّخ الايمان بخالق الكون ومنظمه وعلى قاعدة هذا الايمان نصل الى التعرف على ماهية الموجودات بيسر وسهولة وعلى هذا لايمكن ان يتناقض الايمان مع العلم فالعلم الحديث والقديم الصحيح في نظرية النورسي لايتناقض مع الإيمان.

فقد ادرك النورسي بموهبته الخارقة وايمانه العميق وما حباه الله به من موهبة وعلم يكاد يكون لدنيا ان هذا الجمال كله والجلال كله ليس خيالا بل واقعا تبرزه النظرة العابرة وتؤكده النظرة العميقة المدققة ويشربه الوجدان المؤمن ويصدق عليه العقل المهتدى باكثر من برهان صادق ليكون ذلك كله دليلا وهاديا ومرشدا الى اليقين بوجود الله وديمومته وقدرته وصدق الرسالة المحمدية واليقين بالغيب واليوم الاخر، ويصل النورسي الى أن العلم الصحيح الصادق

هو الذي يدعم ويصدق ويوافق هذه السنن الكونية الرائعة، بل وكلما زاد هذا العلم زاد ذلك الايمان ودنا من اسرار القدرة الالهية الخارقة، واذا قال صاحب العلم المادي أنه توصل الى مايخالف هذه السنن فقد ضل وحاد عن الطريق ووجهت المراجعة والتمحيص الذي يثبت الحق والصدق ويكشف زيف العلم المادي القاصر، وتزخر رسائل النور بالشواهد والادلة اليقينية التي لايأتيها الشك أو الباطل من اية ناحية من نواحيها.

وليت المقام يتسع لتعرض نماذج من نوافذ الكلمة الثالثة والثلاثين وهي ثلاث وثلاثون نافذه مضيئة اذ جاء فيها على سبيل المثال الموجز «تأمل في العلامات الفارقة الموجودة في وجه كل انسان التي تميزه عن كل واحد من ابناء جنسه.. وتأمل في انواع النباتات وطوائف الحيوان المنتشرة في الارض وهي اكثر من اربعمائة الف نوع وطائفة.. وتأمل في جريان الاجرام في السموات في منتهى النظام لبلوغ غايات جليلة – بتقرير علم الفلك نفسه – .. وتأمل في اجراء الرزق لكل كائن حسب قدراته وامكاناته.. وتأمل في نمو الاجسام والزهور والاشجار بخطوات هادئة مطرده.. ثم ابداع النفس في الجسد وتمكين الروح من كل كائن حيواني بحكمة تامة.. ثم الإلهامات الغيبية والمشاعر المتنوعة والحواس المختلفة.. وتأمل في الغيبيات التي تفوق طاقة العقل البشري والحكمة في القدرة الكامنة في العجز، والقوى التي تتراءى ضمن معدن الضعف، والثروة والغنى الموجودين في ذات الفقر، وانوار الحياة والشعور المشعين من خلال الجمود والجهل.. الا يدل كل هذا على وجوب وجود ووحدانية ذات مقدسة لقدير مطلق القدرة؟؟(١)

ويواجه النورسي العلماء الماديين ويحاجهم ويسألهم عن مدى المعقولية في ان ينشأ هذا الكون بنفسه تلقائيا او توجده الطبيعة، والطبيعة بكل صورها المختلفة الزاهية والجميلة والجليلة ليست طابعا ولكنها مطبوعة وهي ليست نقاشا ولكنها نقش، واعتبارها كذلك أدنى الى المنطق والعقل السليم، ثم يسأل من

---

(١) الكلمات ص٧٨٢ وما بعدها

يرجعون وجود الكون الى الأسباب عما وراء هذه الاسباب وهل قامت بذاتها؟ والمنطق يحتم ان لابد ان يكون وراءها مسبب، وفي هذه المجادلة يتضح ان النورسي على حق وان الماديين على باطل، ثم يمضى النورسي فيسأل دعاة الطبيعة: اذا كان الكون قائما بذاته بكل اجرامه واجزائه وكياناته وجماداته وحيواناته والبشر فيه والمخلوقات التي تتفاوت بين الذرات والمجرات فمن ينظم الحركة فيها؟ ومن يضمن عدم تصادمها. ومن يسيرها؟ اذا كان ذلك كذلك فان الامر يستلزم ان تقف وراء كل جزء اوجزئي قوة تسيره وتضمن حسن نظامه، أليس الأولى والمنطق ان تكون هناك قوة واحدة قوية قادرة تستطيع تنظيم ذلك كله؟ ويضيف النورسي ايضا سائلا الطبيعيين ماهي غاية الدنيا التي آخرها الموت المحتم على الاحياء؟ هل تنتهي وتزول ويقضى عليها بموت اصحابها؟ أليس من المعقول أن تكون هناك حياة اخرى دائمة يفضى اليها هذا المهرجان الكبير الجميل الجليل؟؟

أليس من الاولى ان يستمع الجميع لقول النورسي «ان الجمال المطلق الذي زين بتجليه هذا الكون وجمّله، والرحمة المطلقة التي ابهجت المخلوقات قاطبة وزينتها لاشك انهما منزهتان ومقدستان بلا نهاية ولاحد عن هذه القساوة وهذا القبح المطلق والظلم المطلق الذي يقضى بالموت الابدي والاعدام النهائي للحياة ولجوهرها الروح».

ان العلم يلقى على الطلاب حقائق مجردة واجزاء مفككة دون رؤية شمولية تربط المفردات وتبرز دلالتها الجمالية. فالشمس مثلا يقول العلم المجرد انها كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها تطايرت منها شرارات هي ارضنا وسيارات اخرى ويقول عن الارض انها مجرد كوكب سيار متوسط الحجم يدور حول الشمس وهو جرم صغير قياسا على الكواكب الاخرى التي لاتعد ولاتحصى، فاين هذا من القرآن الكريم الذي يجعل الارض صنوا للسماوات فهي في كفة والسموات كلها في كفة اذ يقول جل وعلا ﴿... **ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ**

حي ﴾(الانبياء: ٣٠) فهكذا يكون الخطاب للعقل والروح وهكذا تتضح الرؤية الشمولية المتماسكة التي تملأ العقل والفكر والروح والحس والوجدان، فليس ضوء الشمس مجرد ظاهرة فيزيائية ولكنه ايضا وفي الوقت نفسه معطى جماليا ينطوى على دلالات شتى ويسوق برهانا ساطعا على وجود الله ووحدانيته وقدرته التي لاتحد ﴿ **وجعل الشمس سراجا** ﴾(نوح: ١٦)

النورسي وراء الرسائل

يمكن القول ان رسائل النور تشكل ظاهرة فعالة في التاريخ الاسلامي المعاصر بتحريرها ونسخها وتوزيعها وتأثيرها في المتلقين سواء من تلقوها منسوخة باليد او من تلقوها بعد طبعها ونشرها، فقد قيل انه تم نسخ وتوزيع اكثر من ستمائة الف نسخة منها في نطاق السرية والقيود التي كانت مفروضة عليها، وان التلاميذ كانوا يسهرون الليل في نسخها على ضوء الشموع او في ضوء القمر وان بعضهم كان يقضى الليل كله سائرا على قدميه في شعاب الجبال وسط الزوابع والامطار ليسلمها الى البعض الاخر في مختلف القرى.

وقد كتب النورسي اغلب هذه الرسائل او أملاها وهو في المنفى تحت الحراسة او في السجن، فقد بدأ كتابه الرسائل وهو في منفاه في (بارلا) سنة ١٩٢٧ واستمر في المنفى حتى سنة ١٩٣٥ حيث اقتيد وتلاميذه الى محكمة اسكى شهر ثم حددت اقامته اجباريا في (قسطموني) وسيق منها الى محكمة (دنيزلي) فبرأته المحكمة بعد مرافعته الشهيرة التي اشرنا اليها، ولكن حددت اقامته اجباريا في (اميرداغ) حتى اواخر سنة ١٩٤٧ حين سيق الى المحاكمة ودخل سجن (افيون) وبعد الافراج عنه حددت اقامته اجباريا في (اميرداغ) حتى وفاته.

ومن هذا يتضح ان الرسائل فرضت نفسها كوسيلة واحدة متاحة لداعية صاحب رسالة مهمته تبليغها للناس كما ان المعاناة في كتابتها ونسخها وتوزيعها خلقت جوا من الفدائية والتضحية لعله كان أتونا انصهرت فيه عزيمة عصبة من التلاميذ المؤمنين الفدائيين كانوا طليعة طلاب النور.

وكان لشخصية النورسي وما تمتع به من مزايا أثر كبير في تشكيل هذه الفرقة من الفدائيين الابطال فقد كان بموهبته وانسانيته فضلا عن شجاعته وتضحيته وايمانه بمبدئه قديرا على اجتذاب القلوب وكدليل على ذلك نسوق مثالا مختصرا لما كتبه الى وعن تلميذيه (خلوصي) و(صبري) واثبته في مقدمة كتاب (الملاحق) اذ قال عنهما: انهما يتمنيان ما ينسب اليّ من رسائل النور وكانهما صاحباه بالذات فاذا مادونت كلمة من الكلمات فانهما يتذوقانها ذوقا خالصا كانهما قد كتباها والّفاها بنفسيهما، وانهما يعتقدان أن اعظم غاية من غايات حياتهما وأجلها هي خدمة القرآن الكريم بوساطة تلك الكلمات النورية وانهما يشعران بجراحاتها بمثل ما اشعر بها ويضمدانها بالادوية التي اخذتها من صيدلية القرآن الكريم المقدسة والتي جربتها في نفسي اولا.

ويقول ان السيد خلوصي هو ابني المعنوي الوحيد وانا كنت قد اخذته مخاطبا لي دون قصد او شعور وكلّمته في (الكلمات) قبل ان أراه وألقى عليه الدرس، اما السيد (صبري) فانه يحمل علامة فارقة فطرية خاصة بي لم ارها في غير صبري في الاماكن التي تجولت فيها واشعر بصلة قربى معه تفوق صلة الرحم (هذه العلامة هي التحام ابهام الرجل مع التي تليها).

وفوق المعاني التي تضمنتها هذ المكاتبة فان اسلوبها ومدى الحميمية التي فيها وروح الالفة والمودة التي تفيض بها والشعور الانساني الرفيع الذي يتدفق محبة ورحمة يدل دلالة واضحة على ان النورسي كان يعرف جيدا كيف يكسب القلوب وكيف يجند التلاميذ والمريدين وراء الرسائل.

ومما كتبه الى تلاميذه وهو منفى في (بارلا) ومما اوردنا في البحث، وقد جاء فيه: «انا اكتب الان وانا على شجرة صنوبر في قمة الجبل وقد آنست بالوحوش واستوحشت من البشر وعندما أشتاق الى الحديث احادثكم خيالا» وهذا حديث يملك القلوب ويذيب المشاعر ويعرف كيف يشد الناس.

ان شخصية بديع الزمان النورسي الموهوبة ذات الابعاد المتعددة، وقدراته

التي لاحد لها والتي تفجرت منذ نعومة أظفاره والعصر الذي كتب له او عليه أن يعيش فيه وما توصل اليه من كتابة رسائل النور ومعاناته ومكابدته الحياة وتوفيقه في اختيار انجح الوسائل لايقاظ وانقاذ المسلمين كل ذلك يشكل ظاهرة تؤكد انه كان فعلا رجل القدر كما سماه البعض.

هذا الرجل الذي وقف في وجه الطوفان المغير على أمة الاسلام والذي انطلق عنانه من شروط (كروزن) الأربعة التي فرضها وزير خارجية الانجليز في (لوزان) على تركيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى وهي: ان تقطع تركيا صلتها بالاسلام، وان تلغى الخلافة الاسلامية، وان تتعهد تركيا باخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة، وان تختار تركيا لنفسها دستورا لادينيا بدلا من الدستور الاسلامي المستمد من احكام الشريعة الاسلامية.

وقد تلقف مصطفى كمال اتاتورك بعد ان حكم تركيا هذه الشروط بشغف شديد واضاف اليها فألغيت الخلافة وطورد الدين الاسلامي وحرم الزي الاسلامي والغيت اللغة العربية والتاريخ الهجري والمحاكم الشرعية وكل مايمت للاسلام بصلة واغلقت المساجد وحكمت تركيا القوة الغاشمة واضطهد المسلمون كافة.

وفي وسط هذه الظلمات انبثقت اضواء النورسي وتألقت عظمة الاسلام في كفاحه الذي اتخذ له كل الوسائل المتاحة مع مافيها من تضحيته بكل ما يمكن ان يضحى به بشر، ومواجهته للظروف.

وتحايلا في ادارة المعركة كان هناك سعيد القديم وسعيد الجديد وسعيد الثالث ولكنه هو السعيد نفسه الذي كان يغير ملابس الحرب وينوع في اسلحتها، واغلب اليقين ان سعيدا الرابع سيشرق من جديد حين تنتشر كليات رسائل النور في مشارق البلاد الاسلامية وفي مغاربها، فان المعركة لاتزال قائمة والاعداء قائمون على ابواب البلاد الاسلامية بل في قلبها، ورسائل النور قائمة تؤدى رسالتها.

ان بديع الزمان النورسي ليس تركيا من الاناضول فحسب ولكنه زعيم

تركي مسلم وقد يراه المسلمون في اكثر من مكان لايقل اشراقا عما يراه الاتراك بل قد يزيد تصديقا لما يقال من ان الشخصيات الكبيرة كالصور الزيتية يزيد جمالها كلما ابتعدت عنها.

ان النورسي لم يمت مادامت رسائل النور تحمل تباشير الفجر.. فان العالم الاسلامي يدق الأبواب الى عالم الصحوة حيث يتحقق الحق ويعود الى أصحابه الذي عرفوا كيف يستردونه وهم لاشك سيعرفون بعون الله وتوفيقه، وليس نصر الله ببعيد عن المسلمين العالمين العاملين في أي مكان وفي كل مكان فنعم المولى ونعم النصير.

محمد التهامي
المستشار السابق
بالجامعة العربية

المراجع

- النورسي متكلم العصر الحديث، للدكتور محسن عبدالحميد
- الفكر الادبي والديني عند الداعية الاسلامي بديع الزمان النورسي، للدكتور سمير رجب
- بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي
- كليات رسائل النورللنورسي(ترجمة احسان قاسم الصالحي): الكلمات، المكتوبات،اللمعات، الشعاعات، اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، المثنوي العربي النوري، الملاحق في فقه دعوة النور، صيقل الاسلام .
- بديع الزمان النورسي – نظرة عامة عن حياته وآثاره– احسان قاسم الصالحي .
- رجل القدر في حياة أمة – اورخان محمد علي

الفهرس

اهداء	٥
تمهيد	٧
مقدمة	١١
اضواء على شخصية النورسي	١٣
نشأته	١٣
مراحل حياته	١٥
مواقف مشهودة	١٧
– موقفه مع السلطان عبدالحميد	١٧
– موقفه مع جمعية الاتحاد والترقي	١٨
– موقفه مع مصطفى كمال	١٩
– موقفه مع القائد الروسي	١٩
• محاورته مع مفتي مصر	٢٠
• مقابلته مع الماسوني اليهودي	٢٠
من مرافعاته:	٢١
– أمام محكمة الإتحاد والترقي	٢١
– بيانه امام مجلس الأمة	٢٢
– امام محكمة «أسكي شهر»	٢٢
– امام محكمة «دنيزلي»	٢٣
مؤلفات النورسي واسلوبها	٢٣
أهداف رسائل النور وخصائصها:	٢٦
– لا فلسفة ولا تصوف	٢٨
– التربية السلوكية	٣٢

تربية الفرد ٣٦
الاعجاز القرآني ٤٢
أدلة الوجود والتوحيد ٥٦
محمد رسول الله ﷺ ٥٨
السلام الاجتماعي ٦٨
الوحدة الاسلامية ٧٢
الجديد عند النورسي ٧٦
ماهية الوجود واسماء الله الحسنىٰ ٨١
القضاء والقدر ٨٤
اليوم الآخر والحشر ٨٧
النفس البشرية ٩١
النظرة الشاملة ٩٤
النورسي وراء الرسائل ٩٨
مراجع البحث ١٠٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تفخر شركة سوزلر للنشر بالقاهرة أن تقدم لقرائها مجموعة التراث الاسلامى لفضيلة العالم الجليل الشيخ سعيد النورسى وهى مكونة من عشرة أجزاء تجليد فاخر .

١ - الكلمات .

٢ - المكتوبات .

٣ - اللمعات .

٤ - الشعاعات .

٥ - إشارات الاعجاز .

٦ - المثنوى العربى النورى .

٧ - الملاحق .

٨ - صيقل الاسلام .

٩ - السيرة الذاتية تحت الطبع .

١٠ - فهرس شامل تحت الطبع .

(منشوراتنا العربية)

١ - الايمان وتكامل الانسان .
٢ - الآية الكبرى .
٣ - رسالة الحشر .
٤ - الاخلاص والاخوة .
٥ - كلمات صغيرة .
٦ - حقيقة التوحيد .
٧ - رسالة الطبيعة .
٨ - الخطبة الشامية .
٩ - رسالة الى كل مريض ومبتلى .
١٠ - بديع الزمان سعيد النورسى حياته .
١١ - النورسى متكلم العصر الحديث .
١٢ - الفكر الادبى والدينى .
١٣ - النورسى فى مؤتمر عالمى .
١٤ - المؤتمر العالمى لغير العرب .
١٥ - المعراج النبوى .
١٦ - الاسم الأعظم .
١٧ - السنة النبوية .
١٨ - مرشد الشباب .
١٩ - أنوار لا تغيب .
٢٠ - يقظة الامة .

عنوان الفروع

شركة سوزلر للنشر ـ القاهرة ١٠ ش يوسف عباس

مدينة التوفيق ـ م . نصر ـ جمهورية مصر العربية

هاتف : ٢٦٣٦٦٨٤

Sozler Pubications , Nuruosmaniye Cad . 28/2 , 34410 Cagaloglu , Istanbul - TURKEY

Tel : (212) 52776 07 526 5512 Fax. : 520 82 31

Internet : WWW. sozler. com . tr .

ail : Sozler @ ihlas , net. tr E M

* Risale-i Nur Institute of America. P.O. Box15214

Scottsdate Az. 85267 U.S.A.

Tel. : (1) : 602-951 9630

* Asya verlags GmbH , kempener Str. 54, Koln 50733, GERMANY

Tel. (49) (0221) 73 38 04 Fax. : (0221) 7325823

الوكلاء

دار الفضيلة للنشروالتوزيع ١٣ شارع محمد يوسف القاضى ـ كلية البنات ـ مصر الجديدة.

و٧ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة .

والأمارات ـ دبى ـ ديرة ص . ب : ١٥٧٦٥ .

الدار الشامية ـ عمان الأردن ص . ب : ١٨٤٤٢٤ سوق البتراء عمارة الحجرى ـ قرب الجامع الحسينى .

الشاعر

۞ محمد تهامى ۞

شاعر مصرى عربى مسلم

درس القانون ، وأشتغل بالمحاماه والصحافة والأعلام، ويعمل مستشاراً بجامعة الدول العربية .

وهو عضو بالمجالس القومية المتخصصة وبالمجلس الأعلى للثقافة (لجنة الشعر) وبإتحاد المصريين وبجمعية الشباب المسلمين .

وهو سكرتير عام جمعية الأدباء .

له ستة دواوين شعر منها :

" أنا مسلم " و " يا إلهى " ، وله كتاب اسمه

(جامعة الشعوب الاسلامية والعربية)

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب والشعر ، كما حصل على جائزة الملك الحسن الثانى ملك المغرب عن " المسجد الكبير ".

ويحمل وسام الأدب والفنون من الدرجة الأولى ، كما يحمل وسام الحكومة الأسبانية بدرجة فارس .

(حيث كان يرأس مكتب جامعة الدول العربية هناك)

الناشر